الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

وظيفة الحجاج في انسجام الخطاب القرآني
ـ سورة الكهف أنموذجا ـ

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: لغة عربية تخصص : علوم اللسان العربي .

إعداد الطالب(ة):
- آسيـــا سويسي.

إشراف الأستاذ:
– خـــالد سومانـــي.

السنة الجامعية: **2016/2015**

دعاء

اللّهم انفعنا بما علّمتنا، وعلّمنا ما ينفعنا وزدنا علما.

اللّهم أضيء بالعلم طريقنا، وقوي به سواعدنا، واشدد به من عزائمنا

ولا توثق به غيرنا، ولا تحرمنا من عزيمة نيله وطلبه من كل مكان

والزيادة منه في كل آن، فأعطنا منه نورًا يُقوَّي به الإيمان

وصلي الله وسلم وبارك على سيدنا محمد صاحب العلم، سيد الأمم.

شكر وعرفان

قال تعالى " لئن شكرتم لأزيدنكم " (إبراهيم الآية 7)

أتوجه بالشكر أولا وقبل كل شيء إلى الله عز وجل الذي وفقني لهـذا، وأحمده حمدا كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه.

أتقدم بالشكر و العرفان وفائق الاحترام و التقدير إلى الشمعة التي أنارت دروب التائهين... وأيقظت ضمائر الغافلين وحاربت الجهل... إلى الشمعة التي تحترق لتضيئ على الاخرين ... أستاذي الكريم *خالد سوماني* الذي أعانني بتوجيهاته و نصائحه القيمة والذي لم يبخل علي لا بوقته ولا بإرشاداته المنهجية العلمية فترة انجاز بحثي هذا .

كما أتقدم بالشكر لجميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

و إلى كل عمال مكتبة قسم اللغة والأدب العربي على كل ما أسدوه لي من عون.

وإلى كل من ساهم في إخراج هذا المجهود إلى النور من قريب أو من بعيد.

*** آسيا ***

مقـــدّمـــــة

القرآن وما أدراك ما القرآن... حتّى إنّ الكلمات تتجرأ على الخيانة عندما يطلب منها وصف الكبار، كتاب، خطاب، فصاحة، بلاغة، إعجاز، بيان... إلخ اشتملها جميعا فهو السند للإنسان إذا زلَّ، والهادي له إذا ضلَّ، والمصحَّح لخطئه إذا أخطأ ، والمُخرج له من ظلمات الحيرة إذا التَبست عليه مناهج الحياة، والمُفسح له في آماله إذا ضيَّقت عليه هذه الحياة المحدودة حدود الآمال، والمُحرر له من أصناف العبودية الفكرية والبدنية.

كلُّ هذا جاء به القرآن في خطاب زاخر بأساليب متعددة ومتنوعة، أين تداخلت فيه بين الترغيب والترهيب أحيانا، والأمر والنهي أحيانا أخرى، مَنظومة في قالب حجاجيّ فريد تناسب وكلّ موقف سيق فيه، فهو خطاب حجاجي بامتياز، إذ يهدف إلى إحداث أثر في المُخاطَب، وذلك بالاستحواذ على وجدانه وعواطفه واستدراجه إلى الإقتناع بقيمة دينية أو تبني وجهة أخلاقية بالتوجه إلى عاطفته.

فالخطاب أيا كان نوعه وطبيعته، تُسهم في تكوينه وبِنائه مجموعة من المكونات كما أنّ الجوانب الحجاجيّة الماثلة فيه تنسجم وتتفاعل وتتكامل مع الجوانب الإخبارية والفنية وغيرها، ومما لا ريب فيه هو أنَّ للتعبير القرآني أسرارًا وجماليات ولمسات وصور فنيّة تدُّل على أنَّ القرآن كلامٌ فنيٌّ مقصود وضع وضعًا دقيقاً ونسج نسجًا محكمًا فريدًا.

هذا ما دفعنا إلى اختياره موضوعا للبحث والدراسة ومعالجة آلية من آليات البيان القرآني فيه ألا و هي الحجاج وبالتحديد " وظيفته في انسجام الخطاب القرآني وسورة الكهف فيه نموذجا" ذلك أنَّ الوقوف على حجاجيّة الخطاب القرآنيّ ترصد لنا سرَّ إعجازه البياني وانسجامه المتنامي من أوله إلى آخره .

ولعل من الدوافع التي ساقتنا إلى اختياره موضوعا للبحث و الدراسة ما يلي ذكره:

- خدمة القرآن الكريم ولو بجزء يسير مما استطعنا إليه سبيلا.
- الرغبة المُتأججة في صدورنا لسبر أغوار القرآن الكريم واكتشاف سحر نظمه وإعجاز بيانه وفصاحة ألفاظه وجمال أسلوبه وقوة حُجَّجه.
- استثمار الدراسات الحديثة في فهم الخطاب القرآني وأسرار إعجازه .

➢إخراج الحجاج من ضيق وظيفته النمطيَّة " الإقناع" إلى وظائف أخرى جدير بها على رأسها الانسجام.

أمَّا عن أسباب اختيارنا لـ "سورة الكهف " كمدونة للتطبيق، فلحضور معالم الحجاج فيها سواء في الخطاب العام للسُّورة أم لمّا جاء فيها من قصص عكست الطبيعة الحجاجيَّة للشخصيات الحاضرة في ثناياها، وهذا ما لمسناه حقيقة في الجانب التطبيقي والمتعلق بـ "حجاجيَّة القصص القرآنيِّ " ومساهمته في تحقيق الانسجام.

وقد شكلت هذه الدوافع مجتمعة حافزا للدراسة والبحث، في محاولة منا للإجابة عن مجموعة من الإشكالات المطروحة أهمها على سبيل المثال لا الحصر:

➢ما مفهوم الحجاج ؟ وما هي أهمُّ مصطلحاته ومفاهيمه الإجرائية؟.
➢ما أهمُّ الآليات الحجاجيَّة المُحققة للانسجام ؟ وما مدى تحقيقها له؟.
➢ما أهمُّ الآليات الحجاجيَّة الموجودة في السُّورة المُحققة للإقناع والإذعان والمؤدية طبعا لتجسيد الانسجام فيها.

فالغاية من هكذا دراسة هي الكشف عن وظيفة الحجاج في انسجام الخطاب القرآنيِّ وتحقيق جملة من الأهداف كلُّها ترمي إلى:

- رصد آليات الحجاج اللُّغويّة والبلاغيَّة ومدى إسهامها في تحقيق الانسجام.
- إثبات أنَّ الحجاج متعدد الوظائف ولا تنحصر معالمه عند حدود الإقناع والتأثير فقط بل تتعداه إلى تحقيق الانسجام.
- البرهنة كذلك على أنَّ الانسجام القرآني لا يَتَأتى فقط من خلال آلياته المعروفة (السِّياق وموضوع الخطاب، والمناسبة، ... إلخ).
- إثبات أنَّ حجاجيَّة القصص القرآنيِّ تُفعِلُ دور الانسجام.

لقد سعينا جاهدين على امتداد البحث أن نلتزم بما وردَّ في الخطاب القرآنيِّ، وأن لا نحيد عن الإطار العام للسُّورة، وألا نضعها في مرمى هدفنا قسرًا أو قُوَّةً وأن نَستصِيغ منها مالا يوجد فيها، ليكون حجَّة لنا عليها، قناعة منا، وأمانة علمية تطلبها المنهج التداولي ودقة علمية منحها لنا المنهج الوصفي، باعتبارهما المنهجين المطبقين في هذا البحث.

وحتّى لا يكون بحثنا هذا عاما أو ضربا من التخمين والتأويل الذاتيِّ، فقد قسمناه إلى: مقدمة، مدخل، فصلين (الأول نظري محض والثاني تطبيقي) وخاتمة ضمناها أهمَّ النتائج المحققة في هذا البحث.

في المقدمة عرضنا الخطوط العريضة للبحث وأشرنا إلى الإشكالية التي يطرحها.

أمَّا المدخل فَعنوانّاه " **الخطاب والنَّص- إشكالية المصطلح**" أين تطرقنا فيه إلى مفهومي النَّص والخطاب، وأوجه التشابه والاختلاف من خلال إقران التحرير بالنَّص والمشافهة بالخطاب، وأيّهم أنسب في هكذا مجال، طبعا كلٌّ حسب مواصفاته وآلياته.

ليليه مباشرة الفصل الأوّل الموسوم بـ " **الحجاج والانسجام – المفهوم والمجال**" حيث قسمناه إلى مبحثين، في الأول تطرقنا إلى مفهوم الحجاج (لغة و اصطلاحا) وكذا علاقته بمجاله المفهومي (الجدل، البرهان، الإقناع،...)، وآلياته اللُّغوية من عوامل وروابط حجاجيَّة وآليات بلاغية كالاستعارة، الكناية، الطباق، هذا تماشيا مع ما هو موجود في السُّورة لا غير.

وفي المبحث الثاني تعرضنا كذلك لمفهوم الانسجام (لغة و اصطلاحا)، وآليات تحققه في الخطاب القرآني فكان السِّياق، التغريض، المناسبة، وموضوع الخطاب من بين آلياته.

أمّا الفصل الثاني والمتعلق بالجانب التطبيقي فيحمل عنوان " **من قوة الحجاج إلى جمالية الانسجام**"، ولعل هناك من يساوره الذهول فيتساءل قائلا: أنّى للقوّة والجمال أن يجتمعا؟ فنسارع للإجابة ونقول أنَّ القوة المقصودة هنا هي قوة الحبك والسبك الحجاجي وقوة الآلية الإقناعية التي لا تدع مجالا للتردد والشك فهي قوة استحواذية استدراجية وكيف لا تكون كذلك وهي مرصعة بالأسلوب الربّاني الفذ.

وقد عالجنا في هذا الفصل: التعريف بالسُّورة وبينا أسباب نزولها وبنيتها العامة من منظور محمد الطاهر بن عاشور، لنفسح المجال للتطبيق حيث أجبرتنا طبيعة الموضوع أن نخرج عن المألوف فلم نصطلح على الآليات المذكورة في النظري مثلا التسمية نفسها في الجانب التطبيقي، فحجاجيّة السؤال والجواب مثلا قامت مقام آلية السِّياق والتغريض، أمّا حجاجيَّة القصص فحلت مكان آلية المناسبة، وحجاجيَّة التعبير الفني فقد عوضت الجانب

المتعلق بآليات الحجاج والخاصة بالآليات البلاغية (الاستعارة، الكناية) والبديع مجسدا في الطباق، أمَّا العوامل والروابط الحجاجيَّة فقد جاءت بها حجاجية اللّغة .

وأخيرا الخاتمة التي تضمنت أهمَّ النتائج المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

ولا شك أن البحث قد اتكأ على مجموعة من المصادر والمراجع، كان أهمها القرآن الكريم، و مجموعة من التفاسير: مثل التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور والإتقان ومعترك الأقران للسيوطي، وروح المعاني للألوسي، بالإضافة كذلك إلى مجموعة من الكتب نحو: اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي لطه عبد الرحمن، لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب لمحمد خطابي، والحجاج في القرآن الكريم لعبد الله صولة، واستراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري ...

وحتما قد واجهتنا صعوبات أهمها على الإطلاق، عجزنا عن فهم بعض الآيات والغرض الأساس منها، فكيف لنا أن نحيط أو ندرك معناها لذا فقد كنا نرجع في إضاءة بعض جوانبها إلى التفاسير، حيث اعتمدنا في ذلك على تفسير التحرير والتنوير لـ: "**محمد الطاهر بن عاشور**".

بالإضافة كذلك إلى حداثة الدراسة في الوطن العربي، وبخاصة ما تعلق منها بالجانب القرآني، ما أسفر عنه قلة المراجع التي تروي ظمأ المتعطش لهكذا نوع من البحوث.

وأخيرا قبل أن أختم، وأنا إذ أنهي عملي هذا فإنّ الفضل كلّ الفضل لله تعالى الذي وفقني، ثم إلى الأستاذ الفاضل ***خالد سوماني*** إذ تكّرم بالإشراف على هذه المذكرة ولم يبخل عليّ بوقته الثمين وخبرته، فكان بحق نعم الأستاذ المشرف راجية من المولى عز وجل أن يوفقه في أطروحة الدكتوراه. وأقول له جزاك الله عني ألف خير وأغدق عليك من طيباته في عليائه.

ولا يسعنا في نهاية هذه المقدمة إلاّ أن نشير إلى أنّنا حاولنا طرح بعض الأسئلة الجديدة، وتقديم بعض الأجوبة عليها، وارتياد فضاءات جديدة ومغايرة.

ونتمنى أن يكون في عملنا هذا بعض الجدة والأصالة وأن يكون فيه بعض النفع والإفادة.

والله من وراء القصد وهو المستعان وهو الهادي إلى أقوم سبيل.

المدخل: الخطـــاب والنّص

(إشكالية المصطلح)

- تمهيد.

1-مفهوم النّص.

2-مفهوم الخطاب.

3-بين الخطاب والنّص.

4-النّص والخطاب في الدراسات القرآنية.

5-الخطاب أم النّص.

المدخل:الخطاب والنّص (إشكالية المصطلح):

الخطاب، وتحليل الخطاب، وبلاغة الخطاب، والنّص، وعلم النّص، ونحو النَّص...الخ، فيض من المصطلحات التي تجري على ألسنة كل المشتغلين باللسانيات والدراسات الأدبية والنقدية والعربية، هذا التنوع أكسبها تعددا في الدلالة، عكسته وجهة النظر الخاصة بالمعرفة والمرجعيات الفكرية التي انطلق منها كل باحث، فمنهم من يرى أنّه لا فرق بينهما–الخطاب والنّص– وعلى النقيض من هذا تماما، نجد أنّ هناك فريقا آخر فَصَل بينهما وجعل لكلّ مصطلح حدّه وخصائصه التي تميزه عن الأخر، ولتفادي هذا الخلط فقد رحنا نتقصى المادة اللغوية والاصطلاحية لكلّ منهما، فاقتنصنا ما يلي:

أولا: مفهوم النّص.

أ–لغة:

عرف مصطلح النّص معان عدّة، يقال:" النّص: رفَعْك الشيء، ونصَّ الحديث ينصه نصًا: رفعه. وكلٌ ما أظهر فقد نُصَّ...يقال: نَصَّ الحديث إلى فلان أي رفعه، وكذلك نصصته إليه، ونصت الظبية جيدها: رفعته.

– ونَصَّ المتاع نصًّا: جعل بعضه على بعض.

– ونَّص الدَّابَّة ينصها نصا: رفعها في السير وكذلك الناقة.

– ونَّص الرَّجُل نصًّا إذا سأله عن شيء حتى يستقصي ما عنده ونصَ كل شيء منتهاه"[1].

وكلّها معان تدور حول: الظهور– الارتفاع – الانتهاء.

أي؛ أنّ" المتحدث أو الكاتب لا بدَّ له من رفع النَّص وإظهاره كي يدركه المتلقي"[2] نطقا أو كتابة.

ب–اصطلاحا:

من الناحية الشكلية يعرفه **برينكر (Brinker)** "تتابع مترابط من الجمل"[3]، فالجمل المتتابعة تشكل نصا.

---

[1]- ابن منظور: لسان العرب، تح:عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، مادة، (ن ص ص).

[2]- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، دار قباء للطباعة والنشر، ج1، ط1، 2000م، ص 27.

[3]- برند شبلنر: علم اللغة والدراسات الأدبية، تر: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 1987م، ص188.

أمَّا "**هاليداي**" **Akhalliday** فيرى النّص بأنّه:" كلّ متتالية من الجمل يكون بينها علاقات أو على الأصح بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات"[1].

فمفهوم النّص يعتمد على تتابع الجمل من جهة وعلى ترابطها من جهة أخرى، أمَّا من الناحية المضمونية فنجد "**برينكر**" يعتمد له تعريفا آخر مبنيا على قضايا فيرى" أنَّه مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية، تترابط مع بعضها على أساس محوري موضوعي أو جملة أساس من خلال قضايا منطقية ودلالية "[2]، على المستوى التداولي.

ويذهب "**ذي بوجراند**" إلى أنَّ النَّص:" كلّ وحدة كلامية تخدم غرضا اتصاليا "[3] وكونه "حدث اتصالي يخضع لسبعة مستويات نصية هي السَّبك Cohesion والتعليقCoherence وكلاهما يرتكز على النَّص، ثم القصد Intentionality والقبول Acceptability والمعلومية Informativity والموقف situationality والتناص Intertextuality وكلّها مما يعتمد على مستعمل النَّص"[4].

وهناك من اقترح تعريفا جمع فيه بين الناحية الشكلية والمضمونية للنَّص وقال إنَّه: "تتابع من الجمل تؤطر مجموعة من النوايا الاتصالية بين طرفين لتحقيق غرض إبلاغي"[5].

ثانيا: الخطـــاب.

أ-لغـــة:

تنتمي العبارات المشتقة من الجذر اللغوي(خ، ط، ب) إلى حقول دلالية مختلفة حيث وردَّ في اللسان:" الخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان، والخطبة مصدر الخطيب، وخطب المُخَاطِب على المنبر واختطب خطابة واسم الكلام خطبة... وذهب " **أبو إسحاق** " إلى أنَّ الخطبة عند العرب الكلام المنثور المُسَجَّع "[6].

والملاحظ أنَّ لفظ الخطاب يتقاطع في معناه هذا مع لفظين آخرين هما الكلام بمعناه المصدري باعتباره مرادفا للتكليم، والمخاطبة وهو المصدر المشتق من الفعل الذي

---

[1]- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب الدار البيضاء والمغرب، ط1، 1991م، ص 13.
[2]- سعيد حسن بحيري: علم لغة النص(المفاهيم والاتجاهات)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1413، ص13.
[3]- يوسف نور عوض: علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط1، 1410هـ، ص38.
[4]- سعيد يقطين: انفتاح النص الروائي، النص والسياق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، (د ط) ، 1991م، ص365.
[5]- سعيد حسن بحيري، علم لغة النصّ، ص54.
[6]- ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، ج14، مادة (خ ط ب).

اشتق منه لفظ الخطاب، أي خاطب وهو ما أشار إليه ابن منظور في كلامه" والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان"[1].

والمُسلَّم به أنَّ بين هذه المصطلحات فروقا جوهرية، فلفظ الخطاب، أخص وأدق في الدَّلالة على معنى التوجيه من لفظ الكلام الذي لم يتمخض للدّلالة على هذا المعنى فليس كلّ كلامٍ خطابا للغير، أمَّا ما يميز الخطاب عن المخاطبة فهو أنَّ التوجيه في الأول يكون في اتجاه واحد من المُخاطِب إلى المُخاطب.

أمَّا المخاطبة فهي خطاب في اتجاهين ، وهنا إشارة إلى التفاعل الحاصل في العملية الكلامية، المبنية على الأخذ والردّ.

وهذا التمييز يجعل معنى الخطاب أعمُّ وأشمل من معنى المخاطبة فالخطاب ينجز بالكلام ويتحقق في أشكال مختلفة منها المخاطبة.

ب- اصطلاحا:

أدى تجاوز الجملة إلى الخطاب نقلّة واسعة باتفاق المحدثين على اختلافهم، فعرفُّوا الخطاب من وجهة لسانية بأنَّه: " نصٌ محكوم بوحدة كلية واضحة، بحيث يتألف من صيغ وجمل متراصة منسجمة ومتوالية، تصدر عن المخاطب الذي يَوَّد تبليغ الخطاب وإيصاله إلى المُخَاطَب"[2].

فكونه متتالية من الجمل يعني أنَّه لا بدَّ أن يكون انتقاء هذه الجمل انتقاءً قصديا وليس اعتباطيا على امتداد الخطاب فالعلاقات الماثلة بين هذه الجمل هي التي تشكل في النهاية بنية الخطاب[3].

فالخطاب على هذا الأساس وحدة لغوية أشمل من الجملة، فنظام من الملفوظات يتحدد مفهومه في اللُّغة بناء على التلفظ أو العلاقة بين طرفين مُخاطِب ومُخاطَب، وإذا كان ما يُتلفظُ به فإنَّ هذا يعني أنَه قد يكون جملة أو فقرة أو نصا، أي أنَّ الاعتبار الكمي لا دخل له في تحديده، فقد يغدو الخطاب جملة واحدة (الأمثال والحكم) أو آلافا من الجمل[4].

أمَّا عند الأصوليين، فمصطلح الخطاب بالكاد خرج عن معناه اللغوي فهو:" أحد مصدري فعل خَاطَبَ يخاطب خطابًا ومخاطبة، وهو يدل على توجيه الكلام لمن يفهم نُقل

[1]- المصدر السابق، مادة ، (خ ط ب).
[2] - محمد عبد الباسط عيد: النص والخطاب، القراءة في علوم القرآن، مكتبة الآداب، القاهرة ، ط1، 2009م، ص 16.
[3]- المرجع نفسه، ص 16.
[4]- المرجع نفسه، ص 16.

من الدلالة على الحدث المجرد من الزمن إلى الدَّلالة على الاسمية، فأصبح عند الأصوليين يدل على ما خوطب به وهو الكلام"[1]، وهو ما ذهب إليه **الجويني** إذ يقول إنَّ:" الكلام والخطاب والتكلم والتخاطب والنطق، واحد في حقيقة اللّغة وهو ما به يصير الحي متكلما"[2] فالهدف هو التواصل والتأثير. أمَّا " **الآمدي**" في كتابه" الإحكام في أصول الأحكام" يرى بأنَّه:" اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[3]، وفيه نلمس شرطين للخطاب: 1- القصدية (قصد المتكلم)التأثير.

2- استعداد المتلقي: القبول أو الرفض.

وهذا الذي يقدمه علماء النّص والأصوليين، يلتقي في جوهره مع ما يطرحه علماء القرآن، الذين انطلقوا من وحدة الخطاب القرآني، مصدرا وموضوعا، فقد تماسك الخطاب لغة وانسجم مضمونا وفقا لمراده عز وجل، الذي تعهده بالحفظ على هذا النحو الذي ترتبت فيه الآيات والسور الترتيب الذي اقتضى تماسك كل دال مع ما يليه[4]" فإذا ترتَبت اللفظة من القرآن عُلم بإحاطته أيُّ لفظة تصلح أن تلي الأولى وتبين المعنى بعد المعنى ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره"[5]، وهذا حديث عن قوة ومتانة الخطاب القرآني.

ثالثا: بين الخطاب والنَّص.

لم يحظ مفهوم الخطاب بتعريف جامع مانع رغم كثرة استعماله، ما جعله يتداخل ومفهوم النَّص، حيث يظهر هذا التداخل جليا في الاستعمال المضطرب لمصطلحين يُستخدمان كمرادفين متتالين، فهناك من وحدَّ بينهما فيستعمل النَّص ويقصد الخطاب والعكس، وهناك من خرج عن هذا المضمار وفصل بينهما وِفْقَ منظوره وتوجهه فأعطى لكلّ واحد مفهومه الخاص، وحده الإجرائي الذي يميزه، وشروطه وعلاقة كلّ منهما بالآخر.

---

[1]- إدريس حمادي: المنهج الأصولي في فقه الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1998م، ص17.

[2]- الجويني: الكافية في الجدل، تح: فوقية حسن محمد، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، مصر، 1979م، ص32.

[3]- الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تح: سيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ج1، ط2، 1986م، ص136.

[4] - محمد عبد الباسط عيد: المرجع السابق، ص ص 16، 17.

[5]- السيوطي: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تح: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1973م، ص28.

أ-التعريف الموحّد:

" **فان ديك**" Van Dijk عمد إلى ملاقاة الخطاب والنَّص وظيفيا إذ يقول: "يبدو النَّص وحدة مجردة لا تتجسد إلاَّ من خلال الخطاب كفعل تواصلي، وهو كذلك مجموع البنيات النسقية التي تتضمن الخطاب وتستوعبه"[1]. فالنَّص لا يكون نصا إلاَّ إذا كان خطابا تواصليا.

أمَّا في حقل الدراسات اللسانية النصية، ومن منظور سياقي فإنَّه لا يمكننا إغفال ظروف الإنتاج وحالة المخاطب لأنَّ:" النَّص كموضوع شكلي والخطاب كممارسة اجتماعية يتكاملان فيما بينهما وبالتالي لا مجال لإحداث قطيعة تعيق الدراسات النصانية"[2].

وهناك أيضا من يرى أنَّ:" النَّص خطاب ذو معنى مثبت بالكتابة؛ أي مثبت بملفوظات مترابطة ومتراصة تتضمن رموزا دلالية على القارئ أن يتعرف عليها ويدرك معناها، أو بتعبير آخر إنَّ النَّص مجموعة من الملفوظات تشكل بصفة عامة خطابا مسترسلا كما تشكل بنية قابلة للفهم والتحليل"[3]، فالنَص هو الخطاب حال النطق أو قبل الكتابة.

هو الأمر الذي أخذت به " **جوليا كريستيفا** " **Julia Kristeva** التي نظرت إلى الخطاب" من حيث هو خطاب متعدد ومتعدد اللسان أحيانا ومتعدد الأصوات غالبا من خلال تعدد أنماط الملفوظات التي يقوم بمفصلتها، يقوم النّص باستحضار(Presentifie) كتابة (Graphique) ذلك البلور الذي هو محمل الدَّلالة، المأخوذة في نقطة معينة لا تناهيها؛ أي كنقطة من التاريخ الحاضر حيث يلح هذا البعد التداولي"[4].

وهو نفس المضمار الذي سار فيه " **الدكتور محمد عابد الجابري**" فهو يطلق لفظ الخطاب على كلَّ نص موجه من كاتب إلى قارئ، فبما أنَّ:" نص رسالة من الكاتب إلى

---

[1]- سعيد يقطين: تحليل الخطاب الروائي، ص 16.

[2]- رياض مسيس: النص الأدبي من منظور لسانيات النص، طوق الحمامة في الإلف والإلاف، مذكرة ماجستير جامعة عنابة، 2003م، 2004م، ص33.

[3]- نخبة من الأساتذة: تدريسية النصوص، الدليل التربوي، الرباط، المغرب، ج2، (د ط)، 1993م، ص8.

[4]- جوليا كريستيفا: علم النص، تر: فريد الزاهي، مراجعة عبد الجليل ناظم، دار توبقال للنشر، المغرب ط2، 1997م، ص ص 13، 14.

القارئ فهو(إذن) خطاب"[1]، ولا فرق بينهما، بمعنى أنَّ " كلَّ نصٍّ خطاب، فعل لغة من لدن مؤلف ضمني، له تصميم مُحدد الهوية"[2]، أي أنَّ النَّص خطاب محقق في اللغة.

في ظل هذه التعاريف التي وحَّدت بين الخطاب والنَّص وجعلت من التحرير والمشافهة محط ائتلاف بينهما، نجد أنَّ هناك من جعل من(التحرير والمشافهة) محط اختلاف بينهما، والسبب في هذا هو تعدد الروافد واختلاف المقاربات التي حالت دون الحسم في مفهوم النَّص نفسه، فضلا عن الخطاب، فقيمة التميز بين الشفوي والمحرر تكمن في اختصاص كلَّ ضرب بشروط تميزه عن الآخر، فظروف الأول تختلف عن الثاني وما يُفرض على المتكلم المشافهه لا يُلزم به المُحَرِر.

ب-التحرير والمشافهة:

إذا أردنا الفصل بين المصطلحين من خلال هذا التقسيم نجد أنَّ النَص عبارة عن: "منطوقات لغوية مكتوبة ومطبوعة، تستند إلى وصف نحوي أكثر ثراء لأبنيتها"[3]، فالنَّص المكتوب يتسم بتماسك بنيته النحوية واللّغوية كونه" هو الذي يوجد الضمان للشيء المكتوب جامعا وظائف صيانته: الاستقرار، استمرار التسجيل الرامي إلى تصحيح ضعف الذاكرة وعدم دقتها، هذا من جانب و من الجانب الآخر شرعية الحرف الذي هو أثر يتعذر الاعتراض عليه...فالنَص سلاح في وجه الزمن والنسيان وفي وجه براعات القول الذي يستدرك ويخلط، ويتنكر بسهولة تامة"[4]، وإن كان هذا التعريف قد تطرق لمهام النَص ولكنه تحدث أيضا عن أهمية الكتابة التي تمنح النَّص ديمومة أطول، ولهذا نجد أنَّ" **بول ريكور**" Paul Ricoeur يولي الكتابة اهتماما كبيرا، وإنَّه ليرى في ذلك ضرورة عظمى، فهو يرى أنَّ" التثبيت بواسطة الكتابة يعد جزءا من النَّص نفسه"[5]، من هذا المنطلق يعرف النَّص قائلا:" فلنُسم نصا كل خطاب تثبته الكتابة"[6]، من هنا نصل إلى أنَّ:" النَّص هو الظاهر من من خلال الكتابة، هو الذي نقرأ، هو تلك البنية السطحية الخطية، أو هو ذاك المظهر

[1]- محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص8.

[2]- فاولر روجر: اللسانيات والرواية، تر: لحسن احمامة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1997م، ص66

[3]- تون فان دايك: علم النص، مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر ط1، 2001، ص74.

[4]- منذر عياشي: الاسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنما الحضاري، ط1، 2002م، ص125.

[5]- نفسه، ص127.

[6]- نفسه، ص127.

الغرافي كما هو مسجل على الورق"[1]، فالتحرير صفة تميز النّص أمَّا" الخطاب فهو صفة النَّص التي تميزه عندما يتعدى حدوده الشكلية ليقيم علاقة تواصلية مع خارجه... عندما يتم ربط بنيات خارجية"[2]، فالخطاب مرتبط بالسّياق الاجتماعي وبحالة المتكلّم والمتلقي على إثر علاقة تواصلية عن طريق التلفظ.

هذا ما جعل من الخطاب كلاما منطوقا يتسع لعرض ملابسات إنتاجه وتلقيه وتأويله كالحركات المصاحبة له أثناء الاتصال، فهو يتسم بالطول مثل الخطاب الروائي الذي يعتمد على الحوار، اعتقادات المؤلف والشخصيات، بينما النَّص فيتسم بطابعه الكتابي و تراوحه بين القصر تارة حتى يغدو كلمة ، والطول تارة أخرى حتى يصبح مدونة[3].

أمَّا "**مايكل ستايش**" فيرى بأنَّه توجد فروق طفيفة بينهما، بحيث إنَّ النَّص يكون مكتوبا طويلا أو قصيرا متميزا بالانسجام في الشكل والصيغة، في حين أن الخطاب يكون محكيا تفاعليا طويلا عميق الانسجام من حيث الدَّلالة أو المعنى"[4].

وهو ما يبرز بشكل جلي في تعريف "**اميل بنفينست**" Emil Benvieniste في كون الخطاب "كل تلفظ يفترض متكلما ومستمعا ويكون لدى المتكلم مقصد التأثير في الآخرين على نحو ما وبطريقة ما"[5]، فالجانب التواصلي الذي ينبني عليه الخطاب يتحقق بوجود ثلاث عناصر هي: (المُخاطَب والمُخاطِب والقصد –التأثير–)، فالآنية ميزة خاصة بالخطاب، أمَا التأجيل والتأخر فهما صفتان ترافقان النَّص حتى يفرغ المؤلف من كتابته،ثم يتلقاه المتلقي مع جهل زمن ومكان حصول ذلك.

ويفرق **الدكتور**: "**بشير ابرير** " بين الخطاب والنَّص كون الأول يفترض وجود متلقي لحظة النطق به شفويا فلا يتجاوزه إلى غيره، أمَّا النَّص فهو مدونة مكتوبة تؤجل قراءتها"[6] مثلما هو الحال في القرآن الكريم فقد بدأ خطابا ثم أصبح نصا بعد تدوينه وحصره بين دفتي المصحف حتى تكون له ديمومة الخلود.

---

[1]- نخبة من الأساتذة: تدريسية النصوص، الدليل التربوي، ص85.

[2]- نفسه، ص85.

[3]- ينظر: محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط1، 2005 ص12.

[4]- ينظر: سارة ميلز: الخطاب، تر: يوسف بغول، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، (د ط)،2004، ص 3.

[5]- روبرت دي بوجراند: الخطاب والنص والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط2، 2007، ص 121.

[6]- ينظر: بشير إبرير: من لسانيات الجملة الى علم النص، مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، ع 14، جوان 2005م ص93.

رابعا: النّص والخطاب في الدراسات القرآنية:

أ-النّص:

النّص في القرآن وكما عرّفه الجرجاني:" ما لا يحتمل إلاّ معنى واحدا أو ما لا يحتمل التأويل"[1]، فهذه إشارة إلى دقة النص وبعده عن التأويل الذي يُدْخله في دوامة الاحتمالات وتعدد الرؤى، فلا اجتهاد مع النّص.

وهذا نفس ما ذهب إليه كذلك الإمام الشافعي، إذ يعرّفه بأنّه:" المستغني فيه بالتنزيل عن التأويل"[2].

فربط مفهوم النّص بالتأويل لا يوحي بالمرادفة، بل على العكس من ذلك تماما، هي مفارقة ضمنية، كونه يرفض التأويل في استنباط المعاني المتعددة.

أمّا عند الفقهاء: نص القرآن ونص السنة، ما دلّ ظاهر لفظها عليه من الأحكام[3] أي أنّ النّص يظهر الأحكام في ألفاظ مبثوثة في ثناياه، لا تخفى على أهل البصيرة والعقول النيرة.

ب-الخطاب:

ورد لفظ الخطاب في الثقافة العربية، في مواضيع عدَّة، إذ ورد في القرآن الكريم بصيغ متعددة منها:

- صيغة الفعل في قوله تعالى:" **وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً**" **[سورة الفرقان:63]**.

- صيغة المصدر في قوله تعالى:" **ربُّ السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطاباً**" **[سورة النبأ:37]**.

وفي قوله:" **وشددنا ملكهُ وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب**"[سورة ص: 20].

تتفق جلّ كتب التفسير في ضبط مفهوم الخطاب كما ورد في هذه الآيات، منها ما أورده "الطاهر بن عاشور" في كتابه التحرير والتنوير، أثناء تفسيره لكلمة "خطاب".

ففي قوله تعالى:" وإذا خاطبهم....." يقول أنه قد وردت في تفسير الطبري بمعنى "قال سداداً من القول أي القول الصواب"[4]، فهذا التفسير قرن الخطاب بالقول.

---

[1]- محمد الصغير بناني: مفهوم النص عند المنظرين القدماء، ص43.
[2]- الشيخ بوقربة: المفاهيم الأدبية في النقد العربي الحديث، ص340.
[3]- ينظر المرجع نفسه: ص41.
[4]- الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج19، ط1، 1984م، ص494.

وفي قوله تعالى:" لا يملكون منه خطاباً" فالخطاب هنا ورد بمعنى:" الكلام الموجه لحاضر لدى المتكلم أو كالحاضر المتضمن إخبارا أو طلبا أو إنشاء مدح أو ذم"[1]، يوجد مرة أخرى ويقرن الخطاب بالكلام ليتطابق ومعناه اللغوي.

أمّا في قوله:" فصل الخطاب" فهي بلاغة الكلام، وجمعه لمعنى المقصود، بحيث لا يحتاج سامعه إلى زيادة تبيان"[2]، إشارة إلى قول الكلمة وفصاحة صاحبها في عملية الخطاب.

خامسا: الخطاب أم النّص:

قصد الإجابة على هكذا سؤال، ننطلق من فكرة بديهية جدا وهي أنّ "**القرآن خطاب**". وما يثبت أنّه خطاب كثرة مخاطباته، حتى جعلت هذه المخاطبات في القرآن الكريم علما من علومه[3].

فالمخاطبون فيه نوعان:[4]

1- نوع يذكر داخل النّص القرآني وهو في حد ذاته قسمان:

أ- قسم مذكور معين باسمه أو لقبه أو بضمير الخطاب الذي يعنيه، نحو: خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم وخطاب الكافرون نحو قوله تعالى:" **قل يا أيُّها الكافرون**" **[الكافرون الآية1]**.

وخطاب بني إسرائيل أو أهل الكتاب، وخطاب الذين آمنوا وهو كثير فيه، فهؤلاء هم المتلقون الأولون. ويمثلون ما يمكن أن يسمى" الجمهور الخاص أو الضيق".

ب- قسم مذكور في القرآن لكنه غير معين، فالمخاطبون فيه ليسوا بأعيانهم، إنّما الصورة النحوية هي التي جعلت لهم ضمير المخاطب المفرد عادة، نحو **قوله تعالى:**" **ولو ترى إذ الظَّالمون في غمرات الموت**" **[الأنعام الآية 93]**، **وقوله عز وجل:**" **فانظر كيف كانت عاقبة المهتدين**" **[النمل الآية 14]**.

فمن اعتبر هذا الخطاب في الآيتين لغير معين، قال قد يكون الرسول صلى الله عليه وسلم[5].

---

[1]- المرجع السابق، ج23، ص50.
[2]- نفسه، ج30، ص229.
[3]- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم، ص41.
[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص42.
[5]- محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج7، ص376.

2-أمّا النوع الآخر فهو: المخاطب فيه يكون خارج النّص القرآنيّ ولا يذكر فيه، ورغم ذلك فهو معني به وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وأمكنتهم فهم ما يعرف بالجمهور الكوني[1].

فالقرآن الكريم لم ينزل مدونا وإنما نزل سماعا بواسطة جبريل عليه السلام إلى الحبيب المصطفى، ليُدون في فترة حروب الردَّة وبالتحديد معركة اليمامة، فبعد وصول نبأ مقتل أهل اليمامة، أقبل عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق وقال له:" إنّ القتل قد استحرَّ بقراء القرآن، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن" فردّ أبو بكر عليه: كيف أفعل شيئا لم يفعله الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فقال له عمر:" هذا والله خير" ليأمر أبو بكر بعدها بجمعه[2].

فتدوينه إنما جاء حفاظا عليه من الضياع لا غير، أما حالته الخطابية فتكسبه قوة التأثير في المتلقي وخاصة أثناء تجويده وترتيله، فهو يخاطب العقول والقلوب معا.

صالح لكل زمان ومكان، فلحظه تلقيه سماعا أو قراءته تجعل من المتلقي له يتفاعل مع آياته وأجوائها الصوتية والدلالية، ولو بعد مدة من نزوله، فمتلقي فترة نزوله هو نفسه متلقي اليوم، ومتلقي اليوم هو نفسه متلقي الغد ومتلقي الغد هو نفسه المتلقي الذي سيتلقاه بعد سنين ممتدة.

وعليه فإنَّ مصطلح " **الخطاب**" أكثر دلالة على جوهر الرسالة القرآنية من " **النّص**" لأن الرسالة في حقيقتها موجهة من مرسل إلى مرسل إليه؛ أي أنَّ هناك " **مُخَاطِب**" و"**مُخَاطَب**" وبينهما خطاب يشتركان سويا في صنعه.

ونحن في بحثنا هذا سنعمد إلى استعمال مصطلح" **الخطاب**" بدلاً من النّص كونه يتناسب أكثر والمفهوم العملي في الجانب الديني.

[1]- ينظر:عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم ، ص42.
[2]- السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، مركز الدراسات القرآنية، ج2، (د ط)، (د ت)، ص377.

الفصل الأول:الحجاج

والانسجام-المجال والمفهوم

المبحث الأول: الحجاج.

1-مفهوم الحجاج.

2-علاقة الحجاج بمجاله المفهومي.

3-تقنيات الحجاج.

المبحث الثاني: الانسجـــــام.

1-مفهوم الانسجام.

2-آليات الانسجام.

المبحث الأول: الحجاج

تمهيـــد:

لابدَّ لدراسة أي موضوع ضبط مجاله الذي يدور فيه، والإحاطة بالمفاهيم والمصطلحات التي يرتكز عليها، فيتضح بذلك موقعه من الاختصاصات المختلفة والمتداخلة معه، فيتمكن حينئذ الباحث من فك شفراته والولوج إلى المفاتيح القائمة على تلك المفاهيم فهذه العملية ضرورية ولابدَّ منها، بحيث لا يستقيم الحديث مثلا عن الحجاج، والجدل والإقناع، والبرهان، وما اتصل بهذه المفاهيم من آليات وأدوات دون الإشارة إلى الإطار الذي تتدرج فيه، فدراسة الحجاج تنتمي إلى البحوث التي تسعى إلى اكتشاف منطق اللغة ومنطق الخطاب(النّص)؛ أي أنّها تهدف إلى اكتشاف القواعد الداخلية للخطاب والمتحكمة في تسلسل الأقوال والجمل وتتابعها بشكل متنامٍ وتدريجي.

فالحجاج يستمد معناه وحدوده ووظائفه من مرجعيَّة خطابيَّة وخصوصا في المسائل ذات الطابع الفكري الفلسفي التي يعتريها الخلاف في وجهات النظر والتأويل لذلك كان لزاما علينا أن نكوِّن اطلاعا معرفيا أوليا حول المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ الحجاج.

أولا: مفهوم الحجاج

أ- لغـــة:

الحجاج أبرز آلية لغوية يستخدمها المرسل للإقناع، والحجاج مصدر للفعل(حاج) حيث جاء في اللّسان تحت مادة (ح ج ج) يقال:" حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها... والحُجَّة: البرهان، وقيل الحُجَّة ما دُفع به الخصم، وقال الأزهري: الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة.

وهو رجل محجاج أي جَّدِل، والتحاج: التخاصم، وجمع الحُجَّة:حُجَج وحجاج. وحاجّه محاجة، وحجاجا نازعه الحجَّة.

وحجه بحجّة حجا: غلبه على حجته....والحُجَّة: الدليل والبرهان.

يقال حاججته فأنا محاج وحجيج، فعيل بمعنى فاعل...وحجّه بحجة حجا فهو محجوج وحجيج"[1].

[1]- ابن منظور: لسان العرب، دار صبح وايديسوفت، بيروت، لبنان، ج3، ط1، 2006م، مادة (حجج).

فعلى هذا يكون الحجاج دائرا حول: الخصام، النزاع، الجدال، الغلبة، إذا الحجاج يتم بين طرفين متخاصمين أو متنازعين وبالحُجَّة يغلب أحدهما الآخر بصحّة رأيه ووجهة نظره.

أمّا في القاموس المحيط نجد أنَّ،" حجج: يحج بدا وظهر بغتة...والغلبة بالحُجَّة والمحاجج الجدل"[1].

ففي هذا التعريف نلمس مَعْنًا جديد يتجسد في الظهور بغتة، وهذا ما يعطي المُحَاجِج فرصة في التغلب على خصمه لاعتماده على عنصر المفاجأة فعنصر المفاجأة يعزز قدرته على التحاجج ويكسبه أَرْيَحية أكثر.

وفي الحجة قال **ابن منظور**:" سميت الحُجَّة لأنَّها تُحج أي تقصد"[2].

وهذا ما ذهب إليه كذلك **ابن فارس** في تعريفه للحجاج:" وممكن أن تكون الحُجَّة مشتقة من هذا، لأنَّها تقصد، أي بها يقصد الحقُّ والمطلوب"[3].

فالحجاج هنا ورد بمعنى القصد، كون المُحاجِج يقصد به تعديل موقف أو سلوك معين.

وما جعل هذه المفردات ترد بمعنى واحد في المعاجم العربيَّة هو:" وجودها ضمن دائرة البيان والبلاغة الإقناعيَّة"[4].

ب- اصطلاحا:

يُعدُّ مصطلح الحجاج من المصطلحات التي عرفت تباين أراء الدارسين بشأنه، لكثرة الحقول المعرفية التي تناولته،" إذ نجده متواترا في الأدبيات الفلسفيَّة والمنطقيَّة، والبلاغيَّة التقليديَّة، وفي الدراسات القانونيَّة والمقاربات اللِّسانيَّة والنفسانيَّة والخطابيَّة المعاصرة"[5].

فهذا **طه عبد الرحمان** يعرفه قائلا:" حد الحجاج أنَّه كلُّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"[6].

---

[1]- الفيروز آبادي: القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج1، 1301هـ، مادة(حجج)، ص180.

[2]- ابن منظور: مادة(حجج) ص49.

[3]- الجرجاني: كتاب التعريفات، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، (د ط)، 2004م، ص73.

[4]- حبيب أعراب: الحجاج والاستدلال الحجاجي، عناصر استقصاء نظري، مجلة عالم الفكر، الكويت، ع1، 30 ديسمبر، 2001م، ص 109.

[6]- محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، ط1، 2005م، ص6.

[6]- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1998م، ص226.

وهنَا يشير إلى أنَّ طبيعة الخطاب لا تتحدد فقط في العلاقة التخاطبيَّة بل إنَّ للعلاقة الاستدلاليَّة أيضا دور في ذلك إذ:" لا خطاب بغير حجاج، ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المدعي ولا مُخاطَب من غير أن تكون له وظيفة المعترض"[1].

وعليه فإنَّ الحجاج كامن في اللغة، وهدفه الإقناع ولهذا يختار المحاجج أدواته اللُّغوية وآلياته الحجاجيَّة، ما يجعل الحجاج في شكله النهائيّ على أنَّه:" ترجيح خيار من بين الخيارات بواسطة أسلوب هو في ذاته عدول عن إمكانيات لغوية أخرى يُتوقع أنَّها أكثر نجاعة في مقام معين"[2]. فهو يهدف– المُحاجِج – إلى إقناع المُحَاجَج بما يراه، أي؛ إحداث تغيير في الموقف الفكريّ أو العاطفيّ.

ويعرفه **التهانوي** عندما تحدث عن الحُجَّة بأنَّه:" مرادف للدليل والحُجَّة الإلزاميَّة هي المُركَّبة من المقدمات المُسلَّمة عند الخصم، المقصود منها إلزام الخصم وإسكاته، وهي شائعة في الكتب. والقول بعدم إفادتها الإلزام لعدم صدقها في نفس الأمر قول بلا دليل لايعبأ به"[3]أي؛ أنَّ الحجاج مرادف للدليل الذي يهدف من خلاله المُحَّاجِج إسكات خصمه وإلزامه به.

وتقارب هذه الدِّلالَّة ما جاء به **باتريك شارودو**، Patrik Charaudeau حين عرَّف الحجاج على أنَّه: "حاصل نصي من مكونات مختلفة تتعلق بمقام ذي هدف إقناعي"[4]. وشخوص مستعدة للرفض أو القبول.

إذا يمكن تعريفه (الحجاج) بأنَّه فعاليَّة تداوليَّة، يرتبط أشد الارتباط بعناصر المقام فكلَّما وقفنا على لفظ الحجاج تسارعت إلى أذهاننا دلالته على معنى التفاعل، فهو أصل في كلِّ تواصل بين طرفي الخطاب وقد يدل الحجاج بمعناه البسيط على طريقة عرض الحجج وترتيبها[5]، بحيث يستهدف المُحاجج التأثير في المتلقي، فإن تمَّ له ذلك كان الخطاب ناجحا ومحققا لغايته المنشودة (الإقناع) .

---

[1]- المرجع السابق، ص 226.

[2]- محمد سالم ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة عالم الفكر، الكويت ع3، مارس، 2000م، ص 72.

[3]- محمد علي التهانوي: كشَاف الاصطلاحات والفنون والعلوم، تح: رفيق العجم وعلي دحروج، دط، ج1، ص622.

[4]- باتريك شارودو: الحجاج بين النظرية والأسلوب، عن كتاب نحو المعنى والمبنى،تر، دار الكتاب العالمية الجديد، ط1 2009م، ص16.

[5]- أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، المجلد الأول، 2001م، ص93.

فهدف المتكلّم (المُحَاجِج) ليس الإفهام وحسب، بل يمتد ليشمل التأثير في المتلقي(المُحَاجَج) قصد توجيه موقفه وجهة محددة أو تغيير قناعته اتجاه سلوك أو موقف معين ناهيك عن البعد العملي الذي يبرز جليا في الخطاب القرآنيّ (الأمر النهي الوعد والوعيد...إلخ).

فمن خلال سرد أهمّ المفاهيم المتعلقة بالحجاج كمصطلح يقترب من مصطلحات أخرى تنافسه أحيانا في الاستعمال: كالجدل، والبرهان، والاستدلال والإقناع...إلخ، ومن أجل استظهاره أكثر وكشف غياهبه وسبر أغواره والغوص في أعماقه آثرنا أن نتوسع في هذه المفاهيم ذات الصلة الوطيدة بمجاله المفهومي.

ثانيا: علاقة الحجاج بمجاله المفهومي.

أ-الحجاج والجدل:

كنا تعرضنا آنفا إلى أنَّ: " الحجاج يقوم على جمع الحجج لإثبات رأي أو إبطاله والمُحاجَّة طريقة تقديم الحجج والإفادة منها"[1]، وبها يحصل الإذعان والانصياع من المتلقي(المُحَاجَج) وهذا ما يصبو إليه الحجاج.

وقديما جعل العرب لفظ الجدل مرادفا للحجاج، فهذا **ابن منظور** أثناء تطرقه لمفهوم الحجاج ربطه بالجدل إذ يقول: " ... وهو رجل مِحْجَاج أي جدل"[2].

فالترادف بين الحجاج والجدل أمر واقع، فالإنسان المُحاجِج أو المجادل له القدرة على افحام خصومه ومنازعيه بالحُجَّة أو البرهان أو الدليل العقليّ أو النقليّ، فالإنسان المتمكن من الحجاج يسمى "مُجَادِلاً "، فمن يمعن النظر فيه أي؛ (الجدل) ويتعمق في معناه وطرق أدائه يجد أنَّه يعكس حقيقة هذا الوجه من الترادف، وهذا ما يثبته أو يحاول إثباته "**ابن حزم**" في كتابه الإحكام في أصول الأحكام ، فهو يورد لفظ الحجاج ويريد به الجدال والعكس صحيح فالجدال عنده لا يغدو أن يكون واحدا من اثنين، فهو إمَّا، جدال مشروع محمود وإما جدال مذموم وفيه وجهان:[3].

وجه يجادل فيه المجادل بغير علم، والثاني أن يجادل الإنسان نصرة للباطل.

---

[1]- إبراهيم مدكور : المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة للشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1403هـ، ص 67.

[2]- ابن منظور: لسان العرب مادة (حجج)، ص49.

[3]- ينظر: ابن حزم : الإحكام في أصول الأحكام، منشورات دار الآفاق، بيروت، لبنان، المجلد الأول، (دط)، 1983م، ص 23.

ومثال الجدال المشروع المحمود من القرآن قوله تعالى:" **أُدعُ إلى سبيل ربِّك بالحكمة والموعظة الحسنة وجَادِلهُم بالتي هي أحسن**" [سورة النحل:125]

فهي دعوة صريحة إلى الجدال المبني على الحُجَّة القاطعة التي يكون الحق عنوانها.

أمّا الصنف المذموم الذي له وجهان فهو أن يكون:

أ- المجادل يُجادل بغير علم، وفي هذا الصدد نورد **قوله تعالى:**" **ومن النّاس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير**" [سورة الحج 08]

ب- أن يجادل المجادل نصرة للباطل انطلاقا من كرهه للحقِّ كما في قوله تعالى:"**وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنْذِرُوا هُزُوًا** " [سورة الكهف 56].

فإذا كان الجدل" قدرة كلامية وبراعة حجاجيّة"[1]. و" إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام استدلالي"[2]، فهذا يعني أنَّه قائم على سلطة الفرض التعسفي دون دليل ومسوغات منطقيَّة على خلاف الحجاج الذي ينبنى على حرية الاختيار بين القبول أو الرفض والاعتراض.

وهناك من جعل الحجاج آلية من آليات الجدل وجزء منه،وهو رأي ليس ببعيد في دلالته عمن أورد الحجاج بوصفه وجها من وجوه الكلام، ف"**حازم القرطاجني**" يقول بأنَّه قد "يرد على جهة الإخبار أو الاقتصاص وإمَّا أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال"[3].

فمصطلحا" الاحتجاج" و" الاستدلال" كمصطلح" الإقناع" فهل الإقناع هو نفسه الحجاج أم أنَّه آلية من آلياته كذلك؟.

2-الحجاج والإقناع:

الإقناع ركيزة أساسية من ركائز الخطاب الحجاجي، الذي يهدف إلى التأثير وتغير المعتقد والموقف والسلوك، فمن الناحية اللُّغويَّة وكما جاء في اللّسان:" قَنِعَ بِنَفْسِه قَنَعًا وقَنَاعة: رضيَ"[4] فالاقتناع هو الرضى والقبول، وورد كذلك في ثنايا المعجم الوسيط بمعنى القبول بالفكرة أو الرأي والاطمئنان إليه، " اقتنع: قَنَّعَ بالفكرة أو الرأي واطمأن قبله إليه"[5]

[1]- محمد التومي: الجدل في القرآن الكريم، فعالية في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب الجزائر(د ط)،(د ت)،ص07.
[2]- محمد أبو زهرة: تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، (د ط)،(د ت)، ص05.
[3]- حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تونس، ط1، 1966م، ص 62.
[4]-ابن منظور: ج 40 مادة (قنع)، ص 3754.
[5]- مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج2 مادة (قنع)، ص 763.

فالإقناع هو قبول ورضى المتلقي أو تغيير وجهة نظره لدرجة تحطيم أو قتل وجهة النظر المعادية، مع توفر شرط الاطمئنان الذي لابدَّ منه، وإلاَّ عدّ إكراها وفرضا وهذا ما تؤكده قصة إبراهيم الخليل عليه السلام حين قال: " **وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى**" [سورة البقرة 260]، هذا فيما يخص الاطمئنان أمَّا الإكراه فالله سبحانه وتعالى كره الإكراه لنفسه في خطابه لعباده وأنَّ العلاقة بينهم هي التراضي والقبول فقال عزو جل :" **لا إكراه في الدِّين**" [سورة البقرة 256]، فإذا كان ربُّ العزة وخالق الكون كلّه كره الإكراه لبني البشر، فكيف يحق لأي شخص كائنا من يكون أن يكره النَّاس على سلوك أو موقف معين.

وهذا ما نلمسه بشكل جلي في حده الإجرائي فالإقناع هو "العملية التي بها يؤثر الخطاب في مواقف الإنسان وسلوكه دون إكراه أو قسر"[1].

فالإقناع يجب أن يخلو من الإكراه، إذا لا يحق لنا أن نكره أي إنسان على اتخاذ موقف وأن يتصرف بطريقة نحن من رَسَمَ حدودها، وحدد قواعدها وهو أيضا:" تقديم الحجج والمناقشات لحمل الفرد على فعل شيء أو الاعتقاد بشيء ما"[2].

فإذا ربطنا هذا التعريف بالمفهوم اللُّغوي نجد أنَّ عملية تقديم الحجج وطرحها ومحاولة حمل المخاطب على الإذعان و القبول بها تسفر عن الإقناع بشكل جلي.

وما يستشف من هذه التعاريف، هو وجود رابط بين الحجاج والإقناع ألا وهو "الهدف" فالحجاج يُستَّخدم في الخطاب لهدف قبول المتلقي مضمونه وفحواه والعمل به، وهذا هدف الإقناع كذلك ويتجلى هذا أكثر من خلال إدراج جملة من الحجج والبراهين والاستدلال عليها بجعل المتلقي يقبل بها دونما إكراه أو فرض بالقوة، لكن هذا ليس سببا كافيا لنحكم على أنَّ الحجاج والإقناع يحملان معنا واحدا، فهذا التداخل لا يشفع لهما بأن يكونا لفظا واحداً. فالإقناع في حد ذاته مرهون بمدى نجاعة الحجاج[3]، فنَجاعتُه تكمن في إقناع واستمالة المتلقي.

---

[1]- ابن عيسى با طاهر: أساليب الإقناع في القران الكريم، الدار البيضاء، المغرب ط1، 2000م، ص21.

[2]- محمد شمال حسن: الصورة والإقناع، دراسة تحليلية لأثر الخطاب الصورة في الإقناع، دار الآفاق العربية، ط1، 2006م، ص 30.

[3]- ينظر: عبد السلام عشير: عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب (د ط) ، 2008م، ص 22.

كما أنّ نجاعة الإقناع تكمن في مدى ترسخ الخطاب في ذهن المتلقي وقبوله به وما ينجر عنه من إقبال أو إحجام، وأحيانا يطلق على الحجاج الإقناع من باب تعبير الكل بالجزء على اعتبار ما سيكون.

فالإقناع بمثابة قاعدة للحجاج ومحور دراسته فهو" الوجه العائم للحجاج ومرادفه الأخر عبر المواضع المنطقيَّة"[1].

أمَّا فيما يخص الفرق بين الإقناع والإقتناع فيظهر من حيث ترتب الإقتناع على الإقناع[2]، فالإقتناع هو النتيجة التي يرجوها المخاطب إذا كان في موقف الإقناع أي أنَّ الإقتناع هو حاصل الإقناع، فمتى حصل الإقتناع تجسد معنى الإقناع .

من كل هذا نخلص إلى أنَّ الحجاج وسيلة إقناع وأنَّ الإقناع هو غاية وهدف الحجاج.

والإقناع الذي نتحدث عنه هو الذي يكون في الخطاب الحجاجيّ وهو على عكس الإقناع الذي يكون في المحاورة الجدليَّة المناظرة المناقشات....الخ. كون المحاورة الجدليَّة تكون معقودة بين طرفين كلاهما يسعى إلى تخطئة الآخر وإفحامه مستعملا في ذلك جملة من البراهين فهذا الأخير–البرهان– يتداخل كذلك ومصطلح الحجاج لذلك كان لابدَّ من التطرق إليه ومحاولة معرفة الجوانب الخفية لديه، وإن كان يحمل معنى الحجاج أو يقاربه في الدَلالة والآليات فقط.

3–الحجاج والبرهان:

ركب البرهان مركب الحجاج وأخذ معناه، فكان معناه في اللُّغة كما جاء في اللّسان البرهان هو:" الحُجَّة الفاصلة البينة يقال: برهن يبرهن برهنة إذا جاء بحُجَّة قاطعة للدُّد الخصم، فهو مبرهن... وقد برهن عليه: أقام الحُجَّة"[3].

فالبرهان هنا يعني اليقين والدقة القطعيّة فهو يتجرد من الاحتماليّة، إذ إنَّه يأبى أن يكون مطية للاحتمال والحقيقة الهزيلة التي أصابها الوهن والضعف.

فالبرهان عند "**طه عبد الرحمان**" هو" الاستدلال الذي يُعنى بترتب صور العبارات بعضها على بعض بصرف النظر عن مضامينها واستعمالاتها"[4].

---

[1]- عز الدين الناجح: المفهوم من خلال الملفوظ الاشهاري، مجلة الخطاب، دار الأمل، الجزائر، ع1، 2008م، ص 271.
[2]- طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 38.
[3]- ابن منظور:ج2، مادة(برهن) ص 271.
[4]- طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ص 226.

فالبرهان يكون ذو طبيعة ترتيبيَّة بغض النظر عن فحواها ومجال استعمالها.

وأضاف كذلك أنَّه إذا كان" البرهان يبنى على مبدإ الاستدلال على حقائق الأشياء للعلم بها فإنَّ الحجاج يبنى على مبدإ الاستدلال على حقائق الأشياء مجتمعة إلى مقاصدها للعلم بالحقائق والعمل بالمقاصد"[1]. فالبرهان ينطلق من مقدمات وحقائق مسلم بها على عكس الحجاج الذي ينطلق من جوهر حقائق الأشياء والولوج إلى مقاصدها قصد الوصول إلى الحقائق اليقينيَّة والعمل بمقاصدها وإحداث التأثير في المتلقي، فخلوه من المعرفة يجعله مغالطا أو جاهلا، وهذا يعني أن الحجاج أعمُّ من البرهان.

فهذا "**عبد الله صولة**" يقول أنَّه لا فائدة من التصنيف الذي يجعل من دراسة الحجاج برهانا، فهو إمَّا أن يكون" ضرب أنت فيه لا تبرح حدود المنطق وإمَّا مجالا أوسع يهتم بدراسة مجمل التقنيات البيانيَّة الباعثة على ادِّعاء السامع أو القارئ"[2].

فحسب رأيه البرهان فرع من الحجاج ولا مجال للمقارنة كون الحجاج أدق وأعمق دِّلالة وأداء من المصطلحات التي تشترك معه في المعنى.

فكلُّ الجهود المبذولة في ميدان الدراسات الميدانيَّة المنصبة حول مصطلح الحجاج بمختلف أحواله ومجالاته ومقاماته توحي" بالتفاعل حتى إنَّ ما سواه من مظاهر التفاعل إن تبادلا للتأثير أو تناقلا للتغيير أو ترابطا وظيفيا أو حتى تجاوبا وجدانيا تبدو لنا موضوعة على قانونه ومفهومة على مقتضاه أو قل إنَّ الحجاج أصل في كلِّ تفاعل كائن ما كان"[3].

فقد أجمعت هذه الدراسات على أنَّ مصطلح الحجاج قديما أو حديثا هو الجدل وهو البرهان وهو الإقناع... وما إلى ذلك من مصطلحات متشعبة عنه تحمل معناه أحيانا وفي أحيان أخرى جزء لا ينشطر منه.

هذا التنوع في المصطلحات هو تنوع ثراء لا تنوع تشتت وفوضى كونه اكسب الحجاج مجالاً أوسع للدراسة والبحث.

---

[1]- المرجع السابق: ص 230.

[2]- عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم ، من خلال اهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابيي، بيروت، لبنان، ط2، 2008م، ص 8.

4- طه عبد الرحمن:مرجع سابق،ص 229 .

ثالثا: تقنيات الحجاج:

يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة لا تختص بمجال من المجالات دون غيره، فهي مطواعة حسب استعمال المرسل لها، إذ يختار حججه وطريقة بنائها، بما يتناسب مع السِّياق الذي يحف بخطابه[1].

إذ تساعد هذه الأدوات في" تنظيم العلاقات بين الحجج والنتائج أو تُعين المرسل على تقديم حججه في الهيكل الذي يناسب السّياق"[2]، إذ يمكن تقسيم هذه التقنيات إلى:

1_ الأدوات اللغوية الصرفة: مثل ألفاظ التعليل، بما فيها الوصل السببي، والتركيب الشرطي، وكذلك الأفعال اللغوية....

2_ الآليات البلاغية: مثل تقسيم الكلَ إلى أجزاء والاستعارة....

3_ الآليات شبه المنطقية*: مثل الروابط والعوامل الحجاجية نحو: الواو، الفاء، لكن حتى بل، فضلا.....الخ[3].

---

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1 2004م، ص477.

[2]- نفسه، الصفحة نفسها.

[3]- نفسه، ص نفسها.

* سميت منطقية لأنها تقبل الصياغة المنطقية،ووصفت بالمشابهة لعدم إلزاميتها، فهي تلتقي بذلك مع البلاغة (الحجاج) في البعد عن الإلزام أو الفرض البلاغي مما يجعل أي تطعيم للبلاغة بالمنطق الصوري آيلا للفشل: ينظر: محمد الولي: الاستعارة في محطات يونانية و عربية وغربية، ص376.

1-الآليات البلاغية:

أ-الاستعارة:

من أكثر استعمالات اللغة فعالية إذ تدخل في جانب التصوير والتأثير فهي "مجاز لغوي علاقته المشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، أو هي تشبيه سكت عن أحد طرفيه، وذكر فيه الطرف الآخر، فالمتكلم يستعير لفظ المشبه به ليستعمله للدلالة على المشبه ثم يرجعه إلى مجاله الأصلي"[1].

والاستعارة عند عبد القاهر الجرجاني" ليست حركة في الألفاظ، وإنما هي حركة في المعاني والدلالات، وهي ليست بديعا بل هي طريقة من طرق الإثبات الذي يقوم على الادعاء"[2].

ب-الكناية:

شكل من أشكال التعبير بالتلميح يجوز أن يجمع بين الحقيقة والمجاز فهي" كلَ لفظ دلّ على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز"[3]، فالكناية تتعلق بالمعاني وليس بالألفاظ " فلا يكنى باللفظ عن اللفظ وإنَما يكنى بالمعنى عن المعنى"[4]، وهي كثيرة في القرآن الكريم، لأنَ التعبير بالكناية عن معان بألفاظ تميل إلى الإشارة والتلميح يعطيها جمالية أفضل من التعبير المباشر(الحقيقي).

ج-الطّباق:

يعدّ الطباق (التضاد) في اللّغة نوعا من أنواع البديع فهو عبارة عن " لفظان متضادان في الدّلالّة متعاونان في إيضاح المعنى وجمال العبارة... ففي أكثر الأحيان لا يبرز المعنى جليا إلا إذا قورن بضده"[5].

---

[1]- الأزهر الزناد: دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1992م ص59.

[2]- أحمد أبو زيد: الاستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة، ع4، السنة02، 1991م، ص ص 46، 47.

[3]- ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، (د ط)، 1998م، ص172.

[4]- الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق على حواشيه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5 2004م، ص34.

[5]- الصدفي أبي الصفاء: الروض الباسم والعرف الناسم، تح: محمد عبد المجيد لاشين، دار الأفاق، العربية، ط1، 2005م ص35.

نحو: التضاد بين الهداية والضلال كما جاء في **قوله تعالى:**" **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا** " [الكهف الآية 17].

2- الآليات شبه المنطقية:

أ-الروابط الحجاجية : Les connecteurs argumentatif

اللغة ذات طبيعة حجاجية وعليه تتضمن الأدوات والروابط الحجاجية التي لا يمكن أن نعرف قيمتها الحجاجية إلَا بالعودة إلى سياقها.

من هذا المنطلق برزت اهتمامات "**ديكرو**" بالروابط نظرا لما تؤديه من دور كبير في الخطاب تقول: "**آن روبول** " **Anne Rebool** قد أدت أعمال **أوزو الديكرو** Oswald Ducrot إلى شيوع الروابط التداولية أو الخطابية في علم الدَلالة وفي التداولية أساسا"[1]، فهي-الروابط- تسهم في تسهيل عملية تأويل الخطاب وفهمه وكذا توجيه العمليات التأويلية وبالتالي: "تقوم الروابط بدور مهم في عمليات فهم الخطاب...بل تساهم بصورة أساسية في توجيه العمليات التأويلية ولا يمكن التأويل من دونها"[2]، فالروابط تتعلق بالطبيعة الإجرائية.

فإذا تأملنا اللغة العربية مثلا فإننا سنجد كثيرا من الروابط مثل : لكن،الواو، الفاء إذا لأن، بما أن.... مع ذلك، ربما، تقريبا، إنَما...الخ، "فكلَ لفظ يمكِّن من ربط قضيتين (أو جملتين) أو أكثر لتكوين قضايا وجمل مركبة هو رابط"[3]، فهي "تربط بين قولين، أو بين حجتين على الأصح(أو أكثر)، وتسند لكلَ قول دورا محددا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة"[4].

فإذا أخذنا المثال التالي: زيد مجتهد إذن سينجح في الامتحان فسنجد أنَّه يشتمل على حجَّة(زيد مجتهد) ونتيجة (سينجح) والرابط الحجاجي (إذن) الذي يربط بينهما[5]. والروابط الحجاجية أنماط، منها[6]:

---

[1]- آن روبول، وجاك موشلار: التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر: سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، ط1، 2003م، ص169.

[2]- المرجع نفسه ، ص 173.

[3]- المرجع نفسه، ص265.

[4]- أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، (مقال) ضمن كتاب(التحاجج)، طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق، حمو النقاري، ص64.

[5]- المرجع السابق، ص64.

[6]- نفسه، ص65.

1-الروابط المدرجة للحجج: نحو:(حتى، بل، لكن، مع ذلك، وبالتالي...) والروابط المدرجة للنتائج مثل:(إذن، لهذا، وبالتالي...)

2-الروابط التي تدرج حججا قوية: من مثل:(حتى، بل، لكن، لاسيما...)

3-روابط التعارض الحجاجي:(بل، لكن، مع ذلك...) وروابط التساوق الحجاجي(حتى لاسيما...).

ب-العوامل الحجاجية Les Opérateurs argumentatifs :

إنَّ العامل الحجاجي هو "صريفة" (مورفيم) حيث إنَّ إدراجه في محتوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة الحجاجية لهذا الملفوظ[1]، بالإضافة إلى هذا فهي "لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجَة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكُونُ لقول ما"[2]. وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل ربما تقريبا قليلا، كثيرا، ما...إلاَّ وجل أدوات القصر.

ولتوضيح مفهوم العامل الحجاجي بشكل دقيق ندرس المثالين الآتيتين[3].

1- الساعة تشير إلى الثامنة.

2- لا تشير الساعة إلاَّ إلى الثامنة.

فعندما أدخلنا على المثال الأول أداة القصر"لا...إلاَّ" لم ينتج عن ذلك أي اختلاف بين المثالين فيما يخص القيمة الإخبارية لكن الذي تأثر بهذا التعديل هو القيمة الحجاجية للقول في حين لو أضفنا كلمة "**أسرع**" إلى المثالين السابقين:

1-الساعة تشير إلى الثامنة أسرع.

2-لا تشير الساعة إلاَّ إلى الثامنة أسرع.

فسنلاحظ أن القول الأول سليم أمَا القول الثاني فيبدو غريبا ويتطلب سياقا خاصا حتى نستطيع تأويله، أو على الأصح يتطلب مسارا تأويليا مختلفا.

فالمثال الأول يحمل إمكانات حجاجية كثيرة، فهو يخدم نتائج من قبيل الدعوة إلى الإسراع التأخر، الاستبطاء، هناك متسع من الوقت، موعد الأخبار....لكن، عندما أدخلنا العامل

[1]- ينظر: رشيد الراضي: الحجاجيات اللسانية، (مقال) ضمن كتاب: الحجاج مفهومه ومجالاته، تقديم: حافظ إسماعيل علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ج2، ط1، 2010، ص234.

[2]- أبو بكر العزاوي، ص ص، 64، 65.

[3]- نفسه: ص 64 .

الحجاجي "لا...إلاّ" فان إمكاناته الحجاجية تقلصت وأصبح الاستنتاج العادي والممكن هو "لا تشير الساعة إلاّ إلى الثامنة لا داعي للإسراع".

وحصيلة هذه التقنيات الحجاجية، أن يكون الخطاب في الحجاج على قدر المقام بحيث يتطابق موضوع الخطاب وأسلوبه فلا يضطر المحاجج في فترة لاحقة من خطابه إلى التراجع أو تغيير المواقف والمواقع....إلى غير ذلك من المنغَصات الحجاجية التي تفقد الحجاج مصداقيته، وكذا الذي يقوم به أيضا[1].

إجمالا هناك أدوات كثيرة وآليات متعددة تسهم في بناء الخطاب حجاجيا بما يتناسب مع السَياق، فيختار المرسل ما يفي بقصده ويحقق هدفه الإقناعي.

[1]- محمد سالم محمد الأمين الطلبة: الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص133.

المبحث الثاني: الانسجام

أولت لسانيات النَّص" النَّص" قدرا كبيرا من الاهتمام، حيث ركزت في جل أبحاثها إلى الأسباب التي تسهم في تماسكه وتلاحم أجزائه، فالتماسك الذي يكون أو يتحقق على المستوى السطحيّ (اللّغويّ) أطلقت عليه مصطلح" الاتساق" والذي يتحقق على المستوى العميق (الدلاليّ) أطلقت عليه مصطلح "الانسجام" واعتبرت أنَّ كلَّ واحد منهما مكمل للآخر، فالنّص الذي ينجح في تحقيق الترابط السطحيّ " الاتساق" ويفشل في تحقيق الترابط العميق (الانسجام) لا تكتمل نصيّته، كون هذه الروابط(الاتساق، والانسجام) بمختلف أدواتهما وآليتهما هي التي توصلنا إلى عالم النَّص ووحدته الكلّيّة، وعليه فما هو الانسجام؟ وما هي آلياته؟.

أولا: مفهوم الانسجام:

أ-لغــة:

قصد الكشف عن المفهوم اللّغويّ للانسجام قمنا بتتبع المادة اللّغويّة لهذه الكلمة في بعض المعاجم العربيَّة، حيث وردّ في لسان العرب تحت مادة (س، ج، م):" سجمت العين الدمع والسَّحابة الماء تسجمه وتسجمه سجما وسجوما وسجمانا، وهو قطران الدَّمع وسيلانه قليلا كان أو كثيرا... وانسجم الماء والدَّمع، فهو منسجم إذا انسجم، أي انصبَّ سجم العين والدَّمع والماء يسجم سجوما وسجاما إذا سال وانسجم"[1].

كما ورد في القاموس المحيط:"سجم الدَّمع سجوما وسجاما ككتاب، وسجمته العين والسّحابة المَاءُ، تسجمه وتسجمه سجما وسجوما وسجمانا: قطر دمعها وسال قليلا أو كثيرا وسجمه هو، وأسجمه تسجيما وتسجاما والسجم بالتحريك: الماء والدم"[2].

فمن خلال هذا التقصي للمعاني اللّغويّة المتعلقة بمادة(س ج م) نجد أنّها تدور حول القطران والصب السّيلان، وهذه المفردات توحي بالتتالي والتتابع و الانتظام وعدم الانقطاع في الانحدار و إذا ما ربطنا هذه المعاني بالكلام نجد الانسجام هو أنَّ:" يأتي الكلام متحدرا كتحدر الماء المُنسَجِم"[3].

---

[1]- ابن منظور: ج21، مادة، (س ج م).
[2]- الفيرز آبادي: القاموس المحيط، ص 1119، مادة(س ج م).
[3]- ابن الأصبع المصري: تحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، د ط، القاهرة، مصر 1963م، ص 429.

ب- اصطلاحا:

"من المسلَّم به أنّ الانسجام أعمّ وأدق من الاتساق، لاهتمامه بالجانب الدلالي والعلاقات الخفيّة داخل النَّص، فهو يهتم بترابط المفاهيم والعلاقات الدَّلاليَّة المتحققة داخله ومصطلح (cohérence)"[1]، مصطلح ظهر عند الغرب، هذا ما خلق تباينا لدى الدارسين من خلال إيجاد مقابل له بالعربية، فهذا" **محمد خطابي**" نجده يختار مصطلح الانسجام أمَّا "**تمام حسان**" ترجمه إلى الالتحام، و"**محمد مفتاح**" بالتشاكل، حيث حلّل في ضوئه قصيدة كاملة تعرض فيها للتشاكل الصوتيّ والتركيبيّ والدِّلاليُّ رابطا ذلك كلُّه بالقواعد التداوليَّة"[2].

فـ"**جون ماري سشايفر**" يرى أنَّ الانسجام" يضمن التتابع والاندماج التدريجي للمعاني حول موضوع الكلام، وهذا يفترض قبولا متداولا للمتصورات التي تحدد صورة عالم النَّص المصمم بوصفه بناء عقليا"[3]. ما يكسب النَّص تراتبيَّة وتسلسلا فيترك أثره على المتلقيِّ بالقبول الحسن وكأنَّه قد نسج له، وفي الزاوية الأخرى نجد" **ديترفيهفيجر**" و"**فولفجانج هانيه مان**" **Dieter Viehweger et Wolfgane Heinemann** ينظران إلى الانسجام على أنَّه ذلك التعالق الذي يحدث بين النَّص وقدرة المتلقي على فك شفراته متكئا بذلك على خبراته ومعارفه القبليّة أي إنَّه" عند فهم النَّص تستخدم المعارف على نحو استراتجيٍّ"[4]، تجنبا للوقوع في التأويل الخاطئ البعيد عن المعنى المقصود، فمحلل النَّص لا ينبغي، أن" يذهب إلى عالم النَّص وهو عبارة عن صفحة بيضاء، وإنَّما تكون له معلومات مختزنة في ذاكرته تسمح له بالتعميم اعتمادا على مبدأ النظير كما تسمح له بإعادة الرأي في قياسه وتصحيح بعض أجزائه"[5]، فيثبت الصحيح ويلغي الخاطئ مع إعادة تصحيحه واعتماده مستقبلا كونه يسعى إلى تحيين معارفه وخبراته .

---

[1]- ازوالدديكرو وجون ماريسشايفر: القاموس الموسوعي الجديد في علوم اللسان ترجمة منذر عياشي، ط2، المركز الثقافي، بيروت، لبنان، 2007م، ص16.

[2]- خلود العموش: الخطاب القرآني، دراسة في العلاقة بين النص والسياق، عالم الكتب الحديد، الأردن ، ط1، 2008م ص 20.

[3]- جون ماري سشافير: النص ضمن كتاب العلامتية وعلم النص، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، الدار البيضاء، ط1، 2004م، ص 133.

[4]- فولفجانج هانيه مان وديترفيهفيجر:مدخل إلى علم اللغة النصي:تر: فالح بن سبيب العجمي، جامعة الملك سعود، دار النشر العلمي والمطابع، الرياض، السعودية (د ط)، 1999م، ص 118.

[5]- محمد مفتاح: دينامية النص، تنظير وانجاز، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1990م، ص 42.

ثانيا:آليات الانسجام:

أولى علماء لسانيات النَّص الانسجام اهتماما كبيرا كونه خاصية دِّلاليَّة للخطاب يعتمد عليها في فهم الجمل المكونة له أي الخطاب فالعدد الكثير من الروابط والمورفيمات غير المترابطة لا يعطينا جملة سليمة نحويا متناسقة دِّلاليا، ونفس الأمر بالنسبة للجمل غير المترابطة لا يشكل نصا منسجما أيضا لهذا تعددت عمليات انسجام النَّص وآلياته تبعا لتباين آراء العلماء، ونحن في هذا البحث سنركز على أهمِّ وأبرز الآليات المعروفة لدى علماء النَّص.

1-السِّياق (context):

1-1 مفهوم السِّياق:

السِّياق ركن أساس في اتساق النَّص وانسجامه، هذه الميزة جعلت منه محط اهتمام علماء اللُّغة فهو" إطار عام تنتظم فيه عناصر النَّص ووحداته اللُّغويَّة ومقياس تتصل بواسطته الجمل فيما بينها وتترابط وبيئة لغويّة وتداوليّة، ترعى مجموع العناصر المعرفيّة التي يقدمها النَّص للقارئ"[1]،فبالسِّياق يُفهمُ النَّص وتتضح معالمه وتبرز جُمله وإحالاتها القبليّة والبعديّة.

ف" **فيرث** " Firth عندما تحدث عن المعنى صرح بأنَّه: "لا ينكشف إلاَّ من خلال تسييق الوحدة اللّغويَّة"[2]، فالكلمة الواحدة قد تحمل أكثر من معنى، لذلك يجب ضبطها في سياق مضبوط حتى يحصل الفهم الصحيح لمعناها المقصود.

أمَّا" **براون ويول** " Brown et Youl فالسِّياق عندهما بمثابة حجر الزاوية في عملية الفهم والتأويل فهو "يتشكل لديهما من المتكلّم والمستمع والزمان والمكان"[3]. لأنَّ السِّياق يؤدي دورا فعالًا في تأويل الخطاب"[4]، من فهم وحصر تعدد المعاني فهو يساعد على تبني المعنى المقصود، بل كثيراً ما يؤدي ظهور قولٍ واحدٍ في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين أيضا، أمَّا فيما يخص تحديده لخصائص السِّياق والتي لها علاقة بتحديد نوع الأحداث الكلاميَّة فيصنفها كما يلي:

---

[1]- عبد الرحمان بودرع: اثر السياق في فهم النص القرآني، ع25، جمادي الثانية 1428هـ، يوليو2007م، ص 73.
[2]- أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب القاهرة،مصر،ط5، 1998م،ص 68.
[3]- براون ويول:تحليل الخطاب:تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التركي، جامعة الملك سعود، دار النشر العلمي والمطابع الرياض، السعودية(دط)، 1997م، ص 35.
[4]- محمد خطابي: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 52.

المُرسِل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

المُتلقي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

الحُضُور: وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.

المقام: وهو زمان ومكان الحدث التواصلي وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الارشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه....

القناة: كيف تم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي: كلام، كتاب، إشارة...

النظام: اللّغة أو اللوحة أو الأسلوب اللغويّ المستعمل.

شكل الرسالة: ما هو الشكل المقصود: دردشة، جدال،خطبة...إلخ

المفتاح: ويتضمن التقويم: هل كانت الرسالة موعظة حسنة شرحا مثيرا للعواطف....

الغرض: أي ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي[1]، فالسِّياق ليس أمرا معطى دفعة واحدة، إنَّما يتشكل قولاً إثر قول، بمعنى أنَّ هذه الخصائص ليست كلُّها ضرورية في جميع الأحداث التواصلية، ولكن:" بقدر ما يعرف المحلل أكثر ما يمكن من خصائص السِّياق بقدر ما يحتمل أن يكون قادرا على التنبؤ بما يحتمل أن يُقال"[2]، ما يكسبه قدرة على التحليل الجيد والمناسب.

وهذا لا يعني وجود إجماع حول طبيعة مقومات السِّياق فـ "**هايمس**" Haymes مثلا يدرج بالإضافة إلى المشاركين والزمان والمكان والغاية ونوع الخطاب والقناة واللَّهجة المستعملة والقواعد التي تخدم التداول على الكلام في صُلب جماعة معينة، نجد البعض الآخر يدرج معارف المشاركين حول العالم ومعارف بعضهم عن البعض الآخر والمعرفة بالخلفية الثقافية للمجتمع بحكم أن الخطاب ينتج من الواقع.

والحكم الذي يقضي بأنَّ النَّص منسجم أو غير منسجم قد يتغير وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسِّياق، فالبنية اللُّغويَّة وليدة عدّة سياقات ومرجعيات مختلفة جعلت من النَّص كلا موحدا، يسعى من خلالها –السِّياقات– المحلل إلى كشفها وفهم العلاقات الكامنة فيه لذا فالانسجام له علاقة وطيدة بالسِّياق الذي خلقه والمتلقي الذي كشفه.

---

[1]- براون ويول: تحليل الخطاب، مرجع سابق، ص 46.

[2]- محمد خطابي: مرجع سابق، ص 53.

1-2- السِّياق في القرآن الكريم:

أولاه علماؤنا القدامى- علماء الأصول والتفسير وغيرهم- أهمية كبيرة، لوعيهم بدوره الكبير في توضيح وتفسير دلالات العلامات اللُّغويَّة في الخطاب القرآنيّ، انطلاقا من المقولة الشهيرة (لكل مقام مقال)، من هذا الباب نلج إلى نوعين من السِّياق في القرآن الكريم.

سياق داخلي(مقالي)، وسياق خارجي (مقامي).

1-2-1-السِّياق الداخليّ (مقاليّ):

وهو السِّياق الذي" يُعنَى بالنظم اللفظيّ للكلمة وموقعها من ذلك النظم، آخذًا بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها في الجملة"[1] فمعنى الكلمة لا يتحدد إلاَّ بعلاقتها مع الكلمات الأخرى في العملية الكلامية وموقعها من الكلمات التي تشترك معها في السِّياق، فبه- السِّياق- تتجلى دلالة الكلمة من خلال استعمالها اللُّغويّ، أي أنَّ السِّياق الداخلي (المقالي) متعلق بالنَّص في حد ذاته وبجميع مستوياته اللُّغوية وكينونتها النَّصيَّة، إذ تكمن أهميته في "توضيح العلاقات الدَّلاليَّة عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف أو الاشتراك، أو العموم، أو الخصوص، أو الفروق ونحو ذلك، فالمعنى الذي يقدمه المعجم عادة هو معنى مُتعدد وعام ويتصف بالاحتمال، في حين أنّ المعنى الذي يقدمه السِّياق هو معنى معين له حدود واضحة وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك، أو التعميم"[2]، فهو يُسهم في توضيح المعنى المقصود وتجنب الوقوع في اللبس والإفلات من شرك الاحتمال واللايقينيَّة.

فالمتمعن في السّور القرآنيّة يدرك أنّها عبارة عن مجموعة من الآيات، حيث تحوي هذه الأخيرة مقطع أو قد يزيد، إذ يعالج كلّ مقطع موضوعًا محددا.

فالسِّياق القرآنيُّ أنواع عِدَّة، فهناك سياق السُّورة، وسياق الآية المتناسل من سياق المقطع حيث يشكل هذا الأخير لبنة أساسية في بناء المقطع، والمقطع بدوره عضوا أساس في جسم السُّورة، حيث تدور جميع المقاطع حول فلك السُّورة الواحدة ألا وهو موضوعها[3].

---

[1]- فاطمة الشيدي: المعنى خارج النص (أثر السياق في تحدي دلالات الخطاب)، دار نينوى للطباعة والنشر، دمشق سوريا(د ط)، 2011 م، ص 22.

[2]- مرجع نفسه، ص ص 22-23.

[3]- ينظر: المثنى عبد الفتاح محمود: نظرية السياق القرآني، دراسة تأصلية دلالية، نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن ط1، 2008م، ص77.

يكشف هذا الحديث على ثلاث أنواع من السِّياقات القرآنيَّة: سياق الآية، وسياق المقطع، وسياق السُّورة الموضحة فيما يلي ذكره.

1-2-1-1-سياق الآية:

في هذا النوع يتم النظر والبحث في معنى الآية فإذا اُختُلف في معناها ينظر في سِياقها وذلك بوضعها في تركيب وربطها بما قبلها وما بعدها من الكلمات، فمن خلال النظر في سابقتها ولاحقتها يتحدد معناها المقصود، وعلى هذا فالآيات القرآنيّة نوعان: آيات مستقلة معنويا لا تحتاج إلى ما يُتم معناها من الآيات الأخرى، ونوع لا يكتمل ولا يتضح معناها إلاّ بمشاركة الآيات المجاورة لها [1].

1-2-1-2-سياق المقطع:

وهو المقطع المتحدد في الغرض، ويتبين هذا كثيرا في سياق القصص فيكون الترجيح أحيانا بناء على سياق النَّص [2]، فالوحدة الموضوعيّة شرط لابدَّ منه في المقطع على اعتبار أنَّ المقطع في القرآن الكريم يُشكلُ أحد تقسيمات السُّورة القرآنيَّة، فهو يتكون من مجموعة من الآيات وفيه يتم كشف المناسبة بين الآيات إضافة إلى معرفة الوجه المرجح من أوجه التفسير [3].

1-2-1-3-سياق السُّورة:

إنَّ البحث في سياقي الآية والمقطع ينتج عنه الوصول إلى المحور الرئيس الذي تدور حوله السُّورة، وكشف سياقها الكلُّي فلكلُّ سورة في القرآن الكريم محور عام أو أكثر يمكن استخلاصه من سياقها، فترابط سياقات الآيات والمقاطع في السُّورة الواحدة يصب في سياق واحد هو موضوع السُّورة، ولسِّياق السُّورة جوٌّ خاص يطبع ألفاظها ينتج ألفاظا مساعدة على معرفة السَّياق الكلّي لها[4].

فعلماء التفسير نظروا في سياق السُّورة وبحثوا عن الغرض العام والمحور الرئيس الذي تدور حوله كلُّ سورة، فإذا كانت السُّورة مكية مثلا فإن الأمثلة المبثوثة في ثناياها آيات

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص114.

[2]- ينظر: فهد الشتوي: دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام،(رسالة ماجستير، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 2005م، ص43.

[3]- ينظر: المثنى عبد الفتاح محمود، ص 116.

[4]- فاضل صالح السامرائي: التعبير القرآني، دار عمار، ط4، 2006م، ص 237.

تثبت وحدانيَّة الله عز وجل وأنَّه المُستَحقُ للعبادة وحده دون سواه والحذر من الشرك وبيان عواقبه وهكذا.

1-2-1-4-سِّياق القرآن الكريم:

ويتحدد بالأغراض والمقاصد الأساسية التي تدور حولها جميع معاني القرآن إلى جانب النظم الإعجازي والأسلوب البياني الذي يشيع في جميع تعبيراته[1]. ففيه تتضافر السِّياقات الجزئية للقرآن الكريم لتوضيح السِّياق الكُلّي له، ويتمثل في عناصر عِدَّة منها الأغراض والمقاصد الأساسية ومعانيه الكُلّيّة[2]. فالمفسر يجب عليه معرفة هذه الأغراض وإدراكها حتى لا يقع في الخطأ ولا يحيد عن المعنى المقصود فالجهل بالمقاصد والعجز عن وعيها من أسباب البدع في الدّين الإسلامي، هذا فيما يخص المقاصد أمَّا المعاني الكُلّية للقرآن فيقصد ما ورد فيها من ألفاظ يطرد أو يغلب استعمالها على معنى واحد.

1-3 السِّياق الخارجي(المقامي):

وهي ظروف النَّص وملابساته الخارجيّة التي تشتمل على الطبقات المقاميّة المختلفة والمتباينة التي ينجز ضمنها النَّص[3].

فمحاولة كشف معنى تركيب معين دون اعتبار للموقف الذي أُنتِجَ فيه لا يحيلنا إلاَّ إلى معناه اللُّغوي وحسب، ما يبقيه غامضا،لذلك وجب ربط الكلام بالموقف الخارجي الذي ورد فيه، فكثيرا ما يؤدي ظهور قول واحد في سياقين مختلفين إلى تأويلين مختلفين لذا فإن الرجوع إلى السَّياق يحصر التأويلات المُمكِنة ويدعم التأويل المقصود فعدم الإحاطة بالسِّياق يقطع تواصلية الخطاب وانسجامه.

فإذا كان السِّياق الداخلي يسعى إلى كشف التماسك والترابط الحاصلين بين المعاني في السُّور والآيات القرآنيَّة، فان السِّياق الخارجي ينظر في أسباب النزول ومعرفة المكي والمدني، فالأول يُمكّن المُتلقي من معرفة العلاقة بين جزء محدد من الخطاب(آية أو أكثر) والواقع الخارجي الذي هو سبب النزول، والثاني يُمكّن المُتلقي من استيعاب السِّياق التاريخي والاجتماعي الذي به اختلف الخطاب المكي عن المدني، وفي هذا الصدد يقول " **السيوطي**"

---

[1]- ينظر: تهاني باخويرث: أثر السياق القرآني، رسالة ماجستير، أم القرى السعودية، ص 79.

[2]- ينظر الحارثي عبد الوهاب: دلالة السياق(منهج مأمون في تفسير القرآن)، دار المكتبات، عمان، الأردن، ط1، 1998م ص88.

[3]- ينظر: جمال مباركي: التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدار رابطة إبداع الثقافة، بوحيدر، الجزائر، (د ط)، (د ت)، ص151.

في كتابه " **لباب النقول**": " لمعرفة أسباب النزول فوائد وأخطأ من قال لا فائدة له لجريانه مجرى التاريخ، ومن فوائده الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال"[1]، وتمييز المكي عن المدني فالإحاطة بالموقف الذي نزلت فيه السُّورة يُمكِنُنَا من معرفة الأحكام والتشريعات بالاتكاء على مبدأ القياس، وهذا ما رواه **السيوطي** عن **الواحدي** في قوله:" لا يُمكِن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[2]، فهو لم يكتف بهذا الحد بل راح يعدد فوائد معرفة أسباب النزول فذكر منها:

1- معرفة وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم.

2- تخصيص الحكم به عند من يرى أنَّ العبرة بخصوص السبب.

3- قد يكون اللفظ عاما، ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عُرف السبب قَصُر التخصيص على ماعدا صورته.

4- الوقوف على المعنى وإزالة الإشكال[3].

1-4 خصائص السِّياق القرآني:

يختلف السِّياق القرآني عن غيره من السِّياقات الأخرى من حيث نوع الخطاب وأسلوبه، ما جعله يحضى بمجموعة من الخصائص نوردها فيما يلي:

1-4-1- ضبط المفهوم لدى المتلقي:

إنَّ قراءة أي نص تعطينا تأويلات عِدَّة، تتنوع وتختلف حسب الخلفية العلمية لكلِّ قارئ، عكس قراءة الخطاب القرآنيّ الذي يفرض نفسه على القارئ بدعم من السّياق كونه صاحب السلطة عليه.

فوظيفة المتلقي تتمحور وتنحصر في تدبر وفهم معاني الآيات القرآنية والاجتهاد في الوصول إلى مراد المُخَاطِب، وعلى القارئ أن يلتزم المعاني الصحيحة ولايحيد عنها أو يحاول معارضتها، لذا نجد التفاسير القرآنيّة تتنوع لكنها لا تختلف، والألفاظ التي تحمل معانٍ متعددة في سِّياق محدد يشترط فيها أن توافق ما سيقت له من مقصد[4].

---

[1]- السيوطي: لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ط6، 1988م،ص13.
[2]- المرجع نفسه، ص13.
[3]- السيوطي: الاتقان في علوم القرآن: تح عبد المنعم إبراهيم، مكتبة ابن باز مكة، ج1، 2005م، ص99.
[4]- ينظر: المثنى عبد الفتاح محمود، نظرية السّياق، ص126.

1-4-2-التضام والالتحام:

تتميز آي القرآن وسوره بالترابط والتماسك فلا انفصال بينها، وذلك لتتابع المعاني واتصالها، إذ جاء أولها متصلا بآخرها وفق سياق متسلسل فجاءت معانيه وموضوعاته متناسقة[1]، ومنسجمة وهو أحد صور الإعجاز القرآني.

1-4-3-احتمالية التنوع الدلالي:

مرونة السّياق القرآني وتعدد أوجه الترجيح فيه، اكسبَه قابلية إعطاء أكبر قدر من المعاني، فاللفظ الواحد يحمل أكثر من معنى دون حصول اضطراب بين تلك المعاني وهي ميزة للقرآن دون سائر الكتب، ما يجعل القارئ يجتهد بتفعيل عقله في فهم معاني القرآن دون خروج عن سلطة السِّياق القرآنيّ[2].

فالسِّياق أكبر من النّص، وأسبق منه في الوجود، وأمكَّنُ منه في النفوس، ومن هنا تتأكد ضرورة مراعاة السِّياق والاستناد إليه في التفسير والتحليل، فهذه الضرورة المرعية لها حضورها الملفت في المدونة التراثية عامة وفي الدرس القرآني بشكل خاص فالسِّياق أكبر من مجرد وسيط مادي يقتصر بدوره على توضيح الخطاب(النَّص) أو على توطئة للفهم، وهو أمر في غاية الدقة، فإذا كان السِّياق في الدرس الحديث ظل لفترة غير قصيرة يقوم بوظيفة حصر مجال التأويلات المُمكنَة، ودعم التأويل المقصود فإنَّ السِّياق في علوم القرآن يتجاوز حصر التأويلات المُمكنّة أو تدعيم بعضها، بل يساهم في تشكيل البنية وتوجيه الخطاب.

2- المناسبة

2-1 مفهوم المناسبة

يؤسس علماء القرآن للمصطلح تأسيسا لغويًا، وهذا دليل على أصالة المفهوم وعربيته، فالمناسبة تعني:" المقاربة وفلان يناسب فلانا أي يقرب منه ويُشاكله"[3] وموضوعها فيما يقول" **البقاعي**" هو:" تَعَرُف عِلَلُ الترتيب، وثمرتُه الاطلاع على الرتبة

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص128.
[2]- ينظر: المرجع نفسه، 130.
[3]- الزركشي: البرهان، ج1، ص35.

التي يستحقها الجزء بسبب ماله بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب"[1].

ويرى "**الزركشي**"– متفقا مع البقاعي– أن فائدتها تكمن في :" جعل أجزاء الكلام بعضها آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[2].

فمعنى المناسبة لا ينفصل عن فائدتها، فهي تبحث في العلاقات المختلفة بين أجزاء الخطاب، دون التفرقة بين ظاهره وباطنه، فالتناسب يشملهما معا، فانسجام خطاب ما ينهض على منظومة من العلاقات المفهومة أو التي يمكن فهمها بين جزئياته وكلياته فمن الضروري– ونحن إزاء خطاب معجز في الأساس بنظمه– أن يكون كلٌّ دال فيه منسجما مع ما يجاوره مناسبا له، بما يفضي إلى تناسب كل آية من آياته في ذاتها وفي علاقتها بغيرها من الآيات، وما يؤدي إليه ذلك من تناسب كلِّ سورة في ذاتها أولا وفي موقعهما الذي حددته علاقتها بالسُّورة التي تسبقها والتي تعقبها ثانيا، وهذا يعني أننا أمام بناء متكامل متناسب الوحدات، الأول فيه ما كان يجب أن يكون ثانيا، والثاني فيه ما كان يجب أن يكون أولا، وهذا الطرح يشمل كافة العناصر والوحدات التي يضمها الخطاب وهو ما يؤول إلى بنية كلية، مشدود أولها إلى آخرها، ومردود آخرها على أولها.

لقد اجتهد المفسرون في البحث عن العلاقات التي تحقق التناسب أو بالأحرى تأكده بين الآيات والسور، وتوصلوا إلى أنَّها في مجملها ترجع إلى" معنى ما رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول، والنظيرين والضدين، ونحوه أو التلازم الخارجي كالمرتب على ترتيب الوجود الواقع في باب الخبر"[3]، فالعلاقات بين الآيات والسور– كما يشير الزركشي– تقتصر على:

*علاقات داخلية وقد تكون مفهومة مُستَنتَجَة كالعموم والخصوص العقلية والحسية، وبهذا يمكن للمتلقي أن يدرك العلاقة بين الآية الحالية وما يليها، أوما يسبقها، كما يمكنه معرفة علاقة أول السُّورة بآخرها، بناءً على منهج محدد.

[1]- برهان الدين البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، تح: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج1، 1995م، ص5

[2]- الزركشي: البرهان تح: أبي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2006م، ص36.

[3]-المصدر نفسه، ص36.

*علاقات خارجية وتَكمُن في التلازم بين الخطاب والمناسبة التاريخية التي هي سبب وجوده، فإدراك المناسبة يقتضي معرفة السِّياق الخارجي وربط الآية(الآيات والسور) به.

وهنا تجدر الإشارة إلى التداخل الحاصل بين المناسبة وأسباب النزول ويمكن التفريق بينهما من حيث" إنَّ علم أسباب النزول يربط الآية أو مجموعة من الآيات بسياقها التاريخي، أمَّا علم المناسبة بين الآيات والسور فيتجاوز ذلك إلى أجزاء النَّص؛ ليبحث في أوجه الترابط بين الآيات والسُّور في الترتيب الحالي للنَّص"[1]، فانسجام الخطاب القرآني وترابط أجزائه ليس مجرد أمر نفرضه على الخطاب بل هو كامن فيه وما نقوم به نحن هو إضاءة من زاوية أخرى للمناسبة والانسجام المتحقق فيه.

هذا فيما يتعلق بالدراسات العربيّة القديمة(علوم القرآن)، أمَّا فيما يخص الدراسات اللُّغويَّة الحديثة، فنجد " **محمد خطابي** " يرى أنَّ المناسبة هي:" تركيب القول من جزأين فصاعدا، كلٌّ منهما مضاف إلى الآخر ومنسوب إليه بجهة من جهات الإضافة ونحو من أنحاء النسبة"[2].

فالمناسبة تكون بين سابق ولاحق من ناحية الإضافة فيوضح الثاني معنى الأول ويوفيه غايته ومقصده(الإفهام، التوضيح، التوجيه...الخ).

وهناك من يعرف المناسبة على أنَّها" هي وجه الارتباط بين الآية والآية التي تليها وفاتحة السُّورة وخاتمتها ونحو ذلك، أو هي وجه ارتباط أجزاء القرآن بعضها ببعض"[3] فهي تنطلق من أصغر جزء في القرآن وهو الآية إلى أكبر جزء منه وهو الكتاب بما حواه من سور وآيات من الفاتحة إلى سورة النّاس.

" والمناسبة بين آيات السُّورة تؤكد وجود قضية التماسك في القرآن الكريم"[4] فالترابط بين الآيات والسُّور يقوم على أساس أن اكتشاف هذه العلاقات أو المناسبات الرابطة بين الآية والآية من جهة، وبين السُّورة والسُّورة من جهة أخرى، وبديهي أن اكتشاف هذه العلاقات يعتمد على قدرة المفسر ونفاذ بصيرته في اقتحام أفاق النص[5]، ومنه فإنَّ مُهمَّة

[1]- أبو زيد نصر حامد: مفهوم النص(دراسة في علوم القرآن) الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ط1، 1990م، ص179.
[2]- محمد خطابي، ص 135.
[3]- فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: دراسات في علوم القرآن الكريم، مركز تفسير للدراسات القرآنية، الرياض، ط14، 2005م، ص447.
[4]- صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي، ج2، ص88.
[5]- ينظر: أبو زيد نصر حامد، مرجع سابق، ص181.

التفسير تستلزم مؤهلات تمكنه من اكتشاف هذه العلاقات والروابط بين الآيات، لأنَّها لا تظهر شاخصة للعيان في كثير من المواضع؛ إذ تحتاج إلى نفسٍ متأملة متدبرة في معاني القرآن الكريم مثلما فعل علماء القرآن قديما وحديثا.

وهناك من اجتهد ووضع أنواعا لها وهي:

1- **المناسبة بين عدة سور في القرآن الكريم:** نحو:" السور السبع التي جاءت بعد سورة البقرة، التي تشكل مع سورة البقرة القسم الأول من أقسام القرآن، هذه السور أتت على تسلسل معين هو نفس التسلسل الذي جاءت به المعاني في سورة البقرة، بحيث لكلِّ سورة منها محور موجود في سورة البقرة"[1].

2- **المناسبة بين السُّورة وما قبلها وما بعدها:** ما نجده بين سورتي قريش والماعون؛ فإنَّه تعالى ذكر في سورة قريش"**ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ**" [قريش4] ذكر في سورة الماعون التي تعقبها من لم يحض على طعام المسكين ولما قال :" **فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَاٱلْبَيْتِ**" [قريش3] ذكر من سها عن صلاته[2].

وعن التناسب بين سورتي الكوثر والماعون، ففي سورة الماعون وصف الله سبحانه المنافقين بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها ومنع الزكاة، وذكر في سورة الكوثر في مقابل البخل "**إِنَّاأَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ**" [الكوثر1]؛ أي الخير الكثير، وفي مقابلة ترك الصلاة "فَصَلِّ" بمعنى دُم عليها، وفي مقابلة الرياء "**لربِّك**" أي لرضاه، لا للنَّاس، وفي مقابلة منع الماعون: الخير" وأراد به التصدق بلحوم الأضاحي[3].

3- **المناسبة على مستوى السُّورة المفردة:** وهو ما سنحاول إبرازه في سورة الكهف التي هي محور هذا البحث.

4- **مناسبة الآيات في أكثر من السُّورة:** فكثير من سور القرآن تتناسب آياتها مع آيات في سور أخرى[4].

- ولمعرفة المناسبة في علوم القرآن فهناك خطوات أهمها:

[1]- ينظر: سعيد حوى: الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، مجلد1، ط5، 1999م، ص61.
[2]- ينظر: السيوطي: أسرار ترتيب القرآن، ص 168.
[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص169.
[4]- خليل بن ياسر البطاشي: الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، الأردن، ط1، 2013م،ص216.

أ. النظر في غرض السُّورة.

ب.مقدماته(الغرض).

ج. مراتب تلك المقدمات بعداً وقرباً.

د. استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم.

هـ. إدراك وجه النظم مفصلا بين كل آية وفي كل سورة[1].

2-2 فائدة المناسبة وأهميتها في تماسك النصوص:

ذكرنا آنفا أن المناسبة هي البحث عن علاقة آية بآية أخرى متقدمة، من هذا المنطلق تتجلى فائدة علم المناسبة وهذا ما قاله "**الزركشي**" أثناء حديثه عن فائدة علم المناسبة بأنَّها:"جعل أجزاء الكلام آخذًا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء"[2]، فهو يبحث في كيفية تماسك النصوص وانسجامها وذلك بترابط وتعالق وحداتها.

وهذا "**صبحي إبراهيم الفقي**" نجده يشترط وجود علاقة بين المتناسبين فقد تكون هذه العلاقة ظاهرة، وقد تكون غير ظاهرة، فيبحث عن الدعامة التي يمكن أن تجمع بينهما، إذا عُلم ذلك، فالمناسبة توصل إلى العلاقة وهذه العلاقة بدورها تقضي مرجعية أحد المتناسبين إلى الآخر، وإذا تحققت هذه المرجعية تحقق التماسك بينهما؛ أي وفق الشكل الآتي[3]:

المناسبة ⟵ العلاقة ⟵ المرجعية ⟵ التماسك

فالمناسبة تعمل على تحقيق الارتباط بين عناصر النَّص وانسجامه.

وعليه يمكن القول إنَّ المناسبة في القرآن سبيل الخطاب إلى الانسجام بها تستقيم الرسالة، ويعلو أثرها ويتضح معناها، لذا نجدها تستحوذ على اهتمام العلماء قديما وحديثا.

3- التغريــض

3-1 مفهومه:

التغريض* من الغرض وهو الهدف أو المغزى والقصد وهو "ذو علاقة وثيقة مع موضوع الخطاب ومع عنوان النَّص وتتجلى العلاقة بين العنوان وموضوع الخطاب في كون

[1]- ينظر: برهان الدين البقاعي: نظم الدرر، ج1، ص12.
[2]- الزركشي: المرجع السابق، ج1، ص36.
[3]- صبحي إبراهيم الفقي: مرجع سابق، ص99.

الأول تعبيرا ممكنا عن الموضوع"[1]، إذ ينظر إلى العنوان على أنَّه وسيلة قوية للتغريض لأنَّنا حين نقع على نقطة مضمنة في العنوان نتوقع أن تكون هي الموضوع، فهي تُهيِئ القارئ وتوجه قراءته للنَّص.

أمَّا"**براون**" **و**" **يول**" فيعرفانه:"بأنَّه نقطة بداية قول ما"[2]، كونه يقوم على البحث في العلاقة التي تربط موضوع الخطاب بعنوانه، فهو النافذة الأولى للنَّص، إذ من خلاله تتجلى لنا مجموعة الدِّلالاَت المركزية للنَّص،" لاحتوائه على وظائف رمزية مشفرة بنظام علامي دال على عالم من الإحالات، فهو إجراء في هدف النَّص وغرضه"[3]، وبهذا يمكن للعنوان أن يشكل بؤرة مهمة، لتمكين المتلقي من النفوذ داخل الخطاب، إذ يمده بزاد ثمين لتفكيك الخطاب ودراسته، إضافة إلى تقديمه المعونة الكبرى، لضبط انسجامه وفهم ما غَمُضَ منه، بل إنَّه المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه مشكلا هوية الخطاب[4] إذ يمكننا أن نعتبره تلخيصا للمحتوى.

أمَّا "**كرايمس**" **Carayms** فيعرفه على النحو الآتي: "كلُّ قول، كلُّ جملة، كلُّ فقرة، كلُّ حلقة وكلُّ خطاب منظم حول عنصر خاص يُتخَذُ كنقطة بداية"[5].

أمَّا الطرق التي يتم بها التغريض فمتعددة نذكر منها:"تكرير اسم الشخص، استعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنية"[6].

وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ علماء التفسير أَولُوا اهتماما كبيرا بالسَورة أو الآية السابقة وعلاقتها بالسُّورة أو الآية اللاحقة لها، وهذا ما ركَّز عليه علماء النَّص، في عملية التحليل النصي وكشف الانسجام، حيث نجد أنَّ "**الرازي**" يُرَكِزُ على أهمية الفاتحة بالنسبة لما يليها من السّور، فيقول:"هذه السُّورة مُسَماة بأم القرآن فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون

*- إعتمدنا المصطلح من كتاب لسانيات النَص لـ: محمد خطابي.
[1]- محمد خطابي: ص 293.
[2]- المرجع السابق: ص 59.
[3]- الطيب العزالي قواوة: الانسجام النصي وأدواته، مجلة الخبر، ع8، 2012م، ص 70.
[4]- فتحي رزق الله الخوالدة: تحليل الخطاب الشعري(ثنائية الاتساق والانسجام)، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ط1، 2006م، ص 124.
[5]- محمد خطابي: ص 59.
[6]- المرجع نفسه: ص ص ،59، 60.

غيرها كالجداول المتشعبة منه"[1]، وهذا ما لاحظه السيوطي أيضا، حيث ركز على أهمية الفاتحة وعلاقة القرآن كلّه بها[2].

فالتغريض يُسهم في تجلي جميع الدِّلالاَّت المركزية للخطاب، ويثير لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يتضمنه.

4-موضوع الخطاب.

4-1- مفهومه:

أُستعمل مصطلح الموضوع أولاً في وصف بنية الجملة ويَعتَبِر" **فان ديك**" "الموضوع وظيفة تحدد حول أي حد قيل شيء ما "[3]، إذ يرتبط مفهوم الموضوع بالمحور الذي يدور حوله الخطاب

فالآية الكريمة:" **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا** " **[**الكهف 1] تتمحور حول الحمد وما يستدعيه من شكر لإنزال هذا الكتاب.

لكن" **فان ديك**" يثير قضية أخرى حول" موضوع الخطاب" إذ يطرح سؤالاً مفاده: هل يمكن أن يكون للنَّص أو الخطاب الواحد أكثر من موضوع؟.

فمثلا الآية السابقة يُحتمل أن يكون موضوعها "الحمد" ويُحتمل كذلك أن يكون" نزول الكتاب" ويُحتمل أن يكون الحديث عن قيمته وحسنه، ومن هذا النموذج يرى "**فان ديك**" أنَ مفهوم المحور هذا غير دقيق وغير صارم[4]، وربما يعود بالدرجة الأولى إلى القارئ فحسب رأيه **–فان ديك–** فهو مفهوم فضفاض، وتكمن مهمة موضوع الخطاب في"إيراد المعلـومـــات السيمانطقية وتنظيمها وترتيبها في تراكيب متوالية ككلٍّ متكامل"[5]، ببحث واستكشاف المحاور الرئيسية للموضوع عن طريق محتويات الخطاب، ف"**محمد خطابي**" يرى أنَّ مفهوم موضوع الخطاب" ليس إلاَّ أداة عملية لمقاربة بنية أكثر تجريدا هي البنيَّة الكليَّة"[6]، تصب فيها مجموعة من المتتاليات تَطُول أو تَقصُر حسب ما يتطلبه الخطاب.

---

[1]- الرازي:مفاتيح الغيب، دار الغد العربي، القاهرة، مصر، ج1، ط1، 1991م، ص227.
[2]- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي: ص128.
[3]- محمد خطابي: ص 275.
[4]- فان ديك: النص والسياق "عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، 2000م، ص185.
[5]- المرجع نفسه: ص 185.
[6] - محمد خطابي: ص 276.

ويندرج تحت موضوع الخطاب ما يُسمى موضوع المُخاطب أو الخطاب الموجه ويعني أنّ لكلِّ طرف في الخطاب موضوعه الخاص، لكن موضوعه هذا يصب في الموضوع العام للتخاطب أو إطار الموضوع ما يُسهم في تحقيق الانسجام، وهذا ما أشار إليه المفسرون حين اعتبروا القرآن كالكلمة الواحدة له موضوع رئيس هو التوحيد والعبادة وموضوعات فرعية تصب كلُّها وتخدم هذا الموضوع الرئيس

وما الآليات المختلفة لكشف انتظام الخطاب وتماسكه إلاَّ لكشف هذا الموضوع المقصود، فـ"**السيوطي**" كان أحد هؤلاء الذين نظروا إلى القرآن نظرة كلية [1]، حيث وظف جُملة من المبادئ والعلاقات للدِّلالَّة على الاتحاد والترابط المضموني للسُور[2]، الذي يدل على وجود مقصد رئيس للخطاب تتمحور حوله تلك الأجزاء المُكونة له، فاستخدام مبدأ الإجمال والتفصيل مثلا عند" **السيوطي**" يُوحي بأنَّ السُور الشارحة تحمل نفس مواضيع السُور السابقة، وحديثه كذلك عن انسجام فواصل الآي التي ضمَّت لها وأدرجه أيضا عند الحديث عن تعالق فواتح السُور بخواتم السُّور التي قبلها وأنها تحمل المعاني نفسها وتصب في نفس البنية الدلالية مثل افتتاح سورة الحديد بالتسبيح في قوله تعالى"**سبَّح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**" [الحديد 01]، واختتام سورة الواقعة بالأمر في قوله تعالى: "**فسَبِح باسم ربك العظيم**" [الواقعة 96][3]، كما أن حديثه عن تناسب أي القرآن وارتباطها ببعضها البعض يدل على أنّ للسُّورة معنى كلي، تَشكَّل من جراء الارتباط والتماسك الموجود بين الآيات.

4-2 ترتيب الخطاب:

لا ريب في أن للأحداث المرتبة في الخطاب وفق زمن حصولها في الواقع أثر على عملية الانسجام[4] ، وقد تَحَدثَ علماء الغرب عن ترتيب الخطاب أو الأحداث حيث عدَّه " **فان ديك**" مظهرا من أهم مظاهر الانسجام وأطلق عليه الترتيب العادي للوقائع"[5].

---

[1]- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي: ج1، ص 129.
[2]- محمد العبد: النص والخطاب والاتصال، ص 159.
[3]- ينظر السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 2003م ص435.
[4]- ينظر: محمد خطابي، ص183.
[5]- المرجع نفسه، ص 38.

إذ إنَّ الجمل "إذا كانت تدل على الأحداث فإنَّ انتظام سلاسل من الجمل ينبغي أن يَدُل على مجموع منظم من الأحداث"[1]، غير أنّ هذا الترتيب العادي قد يخضع إلى التغيير إلاّ أنّه لا يؤثر في عملية الانسجام، بحيث يكون مرفوقا بنتائج تجعل التأويل مغايراً بمعنى أنّه يحمل قيمة إخبارية أكثر من الترتيب العادي، أمَّا أهمُّ شيء أشار إليه **فان ديك** في هذا الأمر هو العلاقات التي تحكم هذا الترتيب لجهة اعتبار الأحوال الموصوفة وهي"عام وخاص جزء وكل، مركب، مجموعة، فئة وعنصر"[2].

وهذا الطرح لم يغفله علماء القرآن – المفسرين–حيث أدركوا من خلال تحليلاتهم عن "وجود موضوع خطاب مرتب منظم بهذه الطبيعة؛ فقد كانوا يصورون النَّص القرآنيّ موضوعات خطابية مرتبة بطريقة مقصودة"[3]، أمَّا الترتيب المخالف لترتيب الأحداث الفعلية الذي يكون مصحوباً بنتائج على مستوى التأويل تحكمها علاقات عِدّة تخضع لمبادئ معرفية أهمها: الإجمال، والتفصيل، الجزء والكل، والعموم، والتضاد...إلخ[4]، وقد استعمل علماء التفسير هذه المبادئ لتفسير العلاقات بين العناصر والمفاهيم بدءا "**بالسيوطي**" من خلال مراعاته للعلاقات القائمة بين الخطاب الواحد أو بين عِدّة خطابات، وهذا من خلال إظهاره للمعنى الرابط بين المتناسبين ببيان مناسبة ترتيب السُّورة، وحكمة وضع كلِّ سورة منها ومناسبة ترتيب الآيات واعتلاق بعضها ببعض وارتباطهما وتلاحمها، وكذلك بيان أنَّ كلَّ سورة شارحة لما أُجمِل في السُّورة قبلها[5].

وبهذا يتضح الدور الأساس الذي يقوم به الترتيب في سبيل تحقيق تماسك الخطاب.

4-3 المتلقي وانسجام الخطاب:

المتلقي له دور جوهري في عملية التأويل والتفسير لا يقل عن دور المنتج (الكاتب الملقي...) فهو الذي يحدث عنده المعنى ويُحدثه بإعطائه" للملفوظ المعاني والدِّلالات بعد قراءته للنَّص وربط العناصر البنائية ضمن علاقات جدليّة تحيل إلى ما هو خارجها والكشف عن دِّلالات في عملية التفكيك والتركيب"[6]، ذلك أنَّه لم يعد المتلقي حسب" **جمال مباركي**"

---

[1]- فان ديك، مرجع سابق، ص 150.
[2]- المرجع السابق، ص 175.
[3]- مصطفى النحاس: نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، مكتبة ذات السلاسل، الكويت،ط1، 2001م، ص 81.
[4]- ينظر: محمد خطابي، ص 38.
[5]- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي،ج2،ص ص94،95.
[6] - ينظر إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، دار هومة، للنشر ،الجزائر (د،ط)(د ت)، ص 233.

تلك الذات السلبية الثابتة المَدعُوّة بل أصبح فاعلا"[1]، فغدت بذلك العلاقة بين الخطاب والقارئ تسير في اتجاهين متعاكسين من الخطاب إلى القارئ ومن القارئ إلى الخطاب ليصبح القارئ كاتبا ومشاركا للخطاب لا مستكشفا ومستهلكا له، بل لمعناه وأهميته وقيمته.

فالهدف من القراءة كما يرى" **سعيد بحيري**" ليس فهم الكلمات المستخدمة وحسب وإنَّما المشاركة في تبادل الفكر المتجسد في المادة المقروءة[2].

وعليه يجب على المتلقي أن يتكئ على جدار صلب من الثقافة العامة والمتخصصة ومُلما بمعارف متصلة بالخطاب الذي هو بصدد تحليله سواء النصيّة أو المقاميّة فالقارئ المقصود هو: "الذي يمتلك ذائقة جمالية ومرجعية ثقافية واسعة"[3]؛ وهذا ما يبرر تفسير القرآن الكريم بطرق مختلفة وأحياناً بمعان مختلفة حسب المفسر وطبيعة التفاعل بين المتلقي والخطاب، وطبيعة الكفاءة التي يمتلكها، فالوسائل المتاحة لقارئ الخطاب القرآني كما يبرز" **صبحي إبراهيم الفقي**" في صدر الإسلام غير الوسائل المتاحة لقارئ العصر الحالي[4].

4-4 خصائص موضوع الخطاب:

يولي الموضوع اهتماما بالمُتكلّم كما يهتم أيضا بمتلقي الخطاب ونوع الرسالة، وفي عملية رجعية تسهم هذه العناصر بدورها في تشكيل البنية الخطابيّة لأي نص أو خطاب فهي تساهم في إنتاجه وتأويله بالوقوف على طرق انسجامه وترابطه ، وتأويله بالوقوف على طرق انسجامه وترابطه.

لكن موضوع الخطاب في القرآن ينفرد بأن المُخَاطِب فيه هو الله عز وجل والمتلقي الأول للرسالة هو جبريل*والمتلقي الثاني هو محمد صلى الله عليه وسلم، والمتلقي الثالث هو الصحابة ومن جاء من بعدهم من البشر إلى يوم أن تقوم الساعة.

---

[1]- جمال مباركي: التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدار رابطة الإيداع، بوحيدر الجزائر،(د ط)(د ت) ص 151.

[2]- ينظر: رولان بارث: لذة النص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1، 1992م، ص 28.

[3] - جمال مباركي، ص 152

[4]- ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، ج1، ص 112.

*جبريل عليه السلام إذا نظرنا إلى شروط التلقي فإننا نجعله ناقلا وسيطا بين الله عز وجل والرسول صلى الله عليه وسلم فقط

فالقرآن الكريم رسالة إلى البشرية، منذ بعثته صلى الله عليه وسلم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالبث من هذا الاعتبار متصل على وجه الأبد... مما يجعل هذه العلاقة ترقى إلى ما فوق الزمنية التاريخية[1].

[1]- عبد المالك مرتاض: نظام الخطاب القرآني، تحليل سيمائي مركب لسورة الرحمان دار هومة، الجزائر، 2001م ص07.

الفصل الثاني: من قـوّة الحجــاج إلى جمالية الانســـجام

1-سورة الكهف.

2-انسجام سورة الكهف من خلال:

أ-حجاجية السؤال الجواب.

ب-حجاجية القصص في السّورة.

جـ-التعبير الفني في السّورة.

د-حجاجية اللغة في السّورة.

تمهيد:

لم يكتف القرآن الكريم في إقامة حججه وبراهينه على طريقة واحدة، بل راح يزيد ويستفيض فيها، هو الذي لا تنضب عجائبه، ولا تستنفذ أسراره، ولا يحاكي بيانه ولا يجاري أسلوبه.

فقضية الإيمان والدين الجديد، التي دعا إليها الحبيب المصطفى، أيقظت في الكفار روح العنّاد والتعنت للباطل الذي كان يسيطر على قلوبهم وعقولهم ويمنعهم من التفكر والتدبر في أنفسهم وفيما حولهم.

لذا فإن كثيرا من الأنبياء والرسل كانوا يلجؤون إلى مناظرة أقوامهم كأسلوب من أساليب الدعوة والإقناع وإقامة الحجة عليهم، حتى لا يبقى لهم أدنى عذر للتولي عن الإيمان والعكوف على الضلال، والقرآن الكريم في حديثه عن الأنبياء والرسل أثبت بين دفتيه كثيرا من هذه المناظرات التي جرت بين الرسل وأقوامهم –إبراهيم عليه السلام والملك النمرود، نوح وقومه....– وهم يؤدون واجب الدعوة التي كلفوا بها، لإثبات العقائد التي جاؤوا بها ودحض عقائد الشرك وأعماله[1].

كما اتخذ من القصص سبيلا للإقناع والتأثير، فالقصة تحمل أدلة على بطلان الشرك وعبادة الأوثان فقد يساق الدليل في تلك القصة، ويأخذ صورته من الواقع، فتصغي إليه الآذان، وتميل إليه النفوس، وترتاح إليه الأفئدة، وتأخذ بما فيه من عظات وعبر[2].

وهذا ما نجده بارزا في سورة الكهف(مدونة البحث)، فالحجاج فيها كان تحدي والقصص الواردة فيها إجابة وعظة.

1-التعريف بسّورة الكهف:

تسمى "**سورة الكهف**" وتسمى أيضا " **أصحاب الكهف**" وتسميتها بسورة الكهف أغلب ومصدر هذه التسمية هو الرسول صلى الله عليه وسلم فقد روى مسلم وأبو داود عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله:" من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف" وفي رواية لمسلم:" من آخر الكهف عصم من فتنة الدجال" ورواه الترميذي، عن أبي الدرداء بلفظ:" من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال"[3].

---

[1]- علي جريشة: أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء المنصورة،ط2، 1992م، ص ص 136، 137.

[2] - زاهر عوض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، مطابع الفرزدق، ط3، 1404هـ، ص79.

[3] - ينظر: الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية، تونس، ج15، 1948م، ص241.

-وهي سورة مكية في قول جميع المفسرين.

-نزلت بعد سورة الغاشية وقبل سورة الشورى.

-هي الثامنة والستون في ترتيب نزول السور.

-نزلت جملة واحدة كما رواه الديملي في مسند الفردوس عن أنس قال:" نزلت سورة الكهف جملة معها سبعون ألفا من الملائكة"[1].

أمّا سبب تسميتها بهذا الاسم، فلأن السّياق العام للسورة يدور حول قصة أهل الكهف وهم الفتية الذين فَرّوا من جبروت قومهم[2].

بالإضافة إلى قصة أصحاب الكهف، حوت السورة أربع قصص أخرى من روائع القصص القرآني هي قصة صاحب الجنتين، قصة آدم وإبليس، قصة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح(الخضر)، قصة ذي القرنين، فالسورة يغلب عليها الطابع القصصي.

وفيما يخص سبب نزولها فكما ذكره كثير من المفسرين، أن مشركي مكة لمّا أهمهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم، بزيادة عدد المسلمين، وكثر تساؤل الوافدين من القبائل عن أمر دعوته، بعثوا" **النضر بن الحارث**" و" **عقبة بن أبي معيط**" إلى أحبار اليهود بالمدينة لأنهم أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء(أي صفاتهم وعلاماتهم)، فما كان من أحبار اليهود إلا أن طلبوا منهما أن يسألوه عن ثلاث؟ فإن أخبرهم بهن فهو نبي وإن عجز ولم يفعل فهو رجل مُتَقَوِّلُ وحسب، فكانت أسئلتهم عن:

-فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم؟(أهل الكهف).

-رجل طوّاف بلغ مشارق الأرض ومغاربها؟(ذو القرنين).

-الروح ما هي؟(كانت إجابتها في سورة الإسراء).

وبعد عودة" **النضر وعقبة**" أقبل جمع من المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه عن هذه الأمور الثلاثة فما كان منه صلى الله عليه وسلم إلا أن قال لهم: أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يقل: إن شاء الله، فمكث عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام لا يوحى له وفي رواية خمسة عشر يوما، ما أحزن الرسول عليه الصلاة والسلام، ثم نزل جبريل عليه السلام بسورة الكهف تحمل الإجابة عن أسئلة أحبار اليهود والمشركين، بل وعلى أكثر من

[1] - المرجع السابق: ص ص241، 242.
[2] - نفسه، ص241.

أسئلتهم لتفسر أمورا كثيرة خفت عنهم لاحتوائها أربع قصص قرآنية يجد المتدبر فيها إجابات أوسع وأشمل من الأمور التي سأل عنها المشركون[1].

والغرض الأهم من نزول سورة الكهف، هو بيان قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وقد ذكرت أولهما في أول السورة وذكرت الأخرى في آخرها[2].

أمّا موضعها من الترتيب في المصحف فهو مناسبة حسنة ألهم الله إليها صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، حين جمعوا القرآن في المصحف الشريف[3].

من خلال التعريف بالسورة وتبيان سبب نزولها نصل إلى:

-أن هناك ثلاث أسئلة موجهة للرسول صلى الله عليه وسلم.

-أنه صلى الله عليه وسلم وعد بالإجابة عليها.

-تأخر الوحي مدة زمنية، يعني أن هناك:

*مُوَجِّهُ السؤَال(مشركي قريش).

*مُوَجَّهُ له السؤال (الرسول صلى الله عليه وسلم).

*مقام في حقيقته مقام اختبار وتحدي لأن اقتراح أسئلة دون غيرها يوحي بأن الموجّه له بالسؤال سيعجز عن الإجابة.

وفيما يخص بنية السورة من خلال "**الطاهر بن عاشور**" فهي كالآتي[4]:

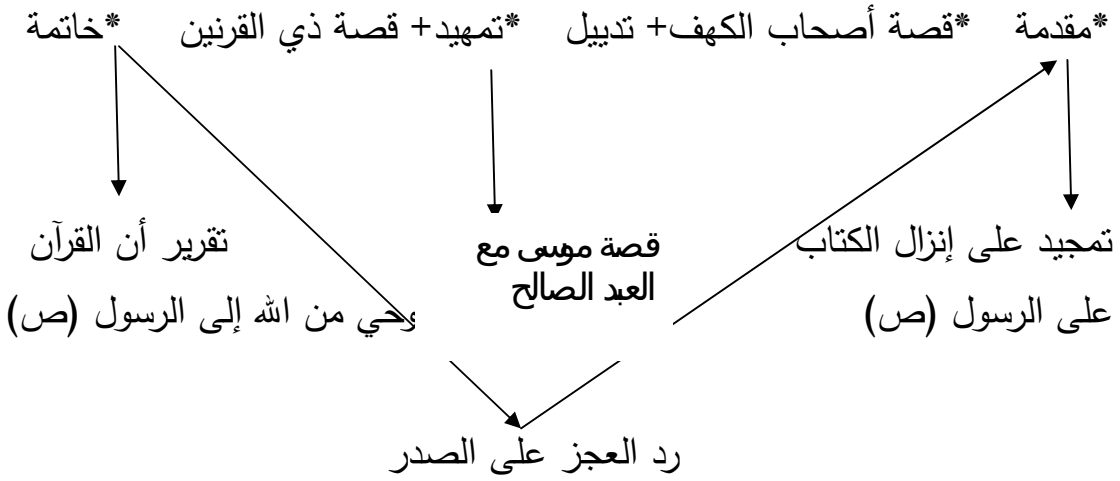

[1] - ينظر: **المرجع السابق، ص ص**242، 243.

[2] - نفسه، ص244

[3] - نفسه، ص245.

[4] - **مفتاح بن عروس: في علاقة النّص بالمقام**(سورة الكهف نموذجا)، **مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، ملتقى علم النص، ع**14، ديسمبر، 1999م، ص303.

فالخاتمة تقرير لما جاء في المقدمة من إثبات التمجيد وما يقرن هذه بتلك القصص التي جاءت بينهما، هي الأسئلة التي تنطلق بالتحدي والإعجاز، ليستمر فيها الخطاب القرآني لإرساء حقائق الألوهية والربوبيَّة والنبوة من خلال التفنن في الإجابة عنها في قالب قصصي ممتع.

2-انسجام السّورة(الكهف) من خلال الحجاج:

إنّ التحليل الذي نروم لإنجازه في هذا الفصل، يقتصر على إبراز الجوانب الحجاجية الاستدلالية الانسجامية للسّورة ، ونحن نعلم علم اليقين أن الخطاب أيا كان نوعه وطبيعته تساهم في تكوينه وبنائه مجموعة من المكونات، ونعلم أيضا أن الجوانب الحجاجية تنسجم وتتفاعل وتتكامل مع الجوانب الإخبارية والفنية وغيرها.

لذا فإن وظيفة الحجاج في انسجام سورة الكهف تكون من خلال:

أ- حجاجية السؤال والجواب.

ب- حجاجية القصص.

جـ- حجاجية التعبير الفني(التصوير الفني، البديع).

د- حجاجية اللّغة.

أولا: حجاجية السؤال والجواب في السّورة.

نتطرق في هذه النقطة إلى مدى علاقة السّورة بالإجابات المقدمة عن الأسئلة المطروحة وأثرها الحجاجي، فالذي طُرح سؤالان عن موضوعين والجواب خمس قصص فهذا تحدٍ صارخ لكفار قريش لأنهم كانوا يتوقعون عجز النبي صلى الله عليه وسلم عن الإجابة حتى يجعلوا من عجزه حجة ودليلا على بطلان دعوته.

فالأسئلة والأجوبة تنبئ بوجود حوار بين طرفين أو عدّة أطراف بالإضافة إلى هذا نجد أن المكون الرئيس للحوار تجسد بقوة في هذه السورة من خلال الفعل قال ومشتقاته(قلنا قلتم قل...).

نحو قوله تعالى: "**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا**....." [الآية 50]

وقوله أيضا:" **يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ**....." [الآية52]

وقوله كذلك:" **وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ**....." [الآية 60]

فالسّياق الخارجي للسّورة تمحور حول الأسئلة التي طرحها مشركوا قريش، على الرسول صلى الله عليه وسلم، بهدف إبطال دعوته واثبات أنه ليس نبي بل رجل مُتَقَوِّلُ وحسب، طبعا جاء هذا بعدما أعياهم شأنه، وبثّ الخوف في قلوبهم، فذيوع صيته بين القبائل وتساؤل الوافدين إلى قريش(الحج، التجارة....) عن أمر دعوته، وما هي الأمور التي كان يدعوهم إليها؟ كان يقلقهم .

في حين نجد أنّ السّياق الداخلي للسّورة قد تجسد من خلال آلية الحوار(سؤال جواب) هذا الحوار المبثوث في السّورة كان " كالروح التي ترى في كيان العمل القصص، فبغير الحوار لا نجد الفائدة الحقّة ولا نجد كذلك ذلك الذّوق الرفيع والتكوين البديع"[1]، وهذا هو حال طبيعة السّور الطوال، إذ لا تكاد:" سورة من طوال المفصل ومتوسطه تخلو من مشهد حواري أو جدلي بين الله وعباده أو بين الرسول وقوم، أو بين النّاس بعضهم مع بعض، حتى بين الإنسان ونفسه في كثير من الأحيان"[2].

فسّورة الكهف من أولها حتى آخرها يغلب عليها الطابع الحواري الجدلي، وهو جلي أكثر في قصة موسى مع الرجل الصالح(الخضر) من خلال حوار تعليمي خاص لأن

[1] - **علي محمد حسن**: القصة القرآنية الخصائص والأهداف، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، ط1، 1995م، ص78.

[2] - نذير حمدان: **الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم**، دار المنايرة، جدة، السعودية، ط1، 1994م، ص97.

السؤال والجواب أو الحوار عموما قِوام النجاح، خاصة إذا كان هذا الحوار في العملية التعليمية فهو أغنى أسلوب تربوي وأيسره في إيصال الحقيقة الفكرية إلى طالبها[1].

فما جرى بين المعلم "**الرجل الصالح**" وبين "**موسى وفتاه**" أوضح الحوار الغرض التعليمي منه فقال عن المعلم والطالب" وعلمناه من لدنا علما" فالله المعلم والرجل الصالح المتعلم، والمادة العلمية هي"علم لدني من الله تعالى"[2].

فسؤال موسى"الطالب" لمعلمه، إتّباعه قصد تعليمه مما علم رشدا، كان جواب المعلم عليه بأنه لن يستطيع على ذلك صبرا وكيف يصبر على ما لم يحط به خبرا، ومع بداية الرحلة العلمية تبدأ الأسئلة وتُمْنَعُ منها الإجابة ليأتي في الأخير الجواب النهائي لكل الأسئلة بطابع حجاجي مقنع وفق الجدول التالي:

السـؤال	الجـــواب
1-هل أتبعك على أن تعلمني؟	1-إنك لن تستطيع معي صبرا، وإذا تبعتني فعليك تحمل المسؤولية لأنه سيشق عليك الأمر.
2-أخرقتها لتغرق أهلها؟	2-السفينة كانت لمساكين يعملون في البحر وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا فأردت أن أبيعها.
3-أقتلت نفسا زكية بغير نفس؟	3-الغلام سيكون عاصيا، وأبواه مؤمنين فخشى أن يرهقهما.
4-لو شئت لتخذت عليه أجرا؟	4-الجدار كان تحته كنز لغلامين يتيمين حتى يبلغا أشدهما ويستخرجاه.

فالمتعارف عليه هو أن لحظة طرح السؤال، تعقبها لحظة الإجابة عليه، لكن الذي حصل في هذه القصة هو تأخر الجواب عن لحظة طرح السؤال، ليس لعدم امتلاك الإجابة أو العجز عنها، أو أن الذي قام به الرجل الصالح هو فعل طائش لا مبرر له، لا فهذا كان اختبارا لمدى صبر موسى، كونه في بداية الرحلة العلمية أعطى وعدا بالصبر﴿**قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا**﴾ [الكهف 69]، وفي نفس الوقت هو إجابة للرسول صلى الله عليه وسلم، فهو كذلك أعطى وعدا لمشركي قريش حين جاؤوه بالأسئلة في

[1] - ينظر: **المرجع السابق**، ص99.
[2] - المرجع نفسه، ص100.

قوله:"أجيبكم غدا" فتأخر نزول الوحي لا يعني تخلي الله عن رسوله ولكنه امتحان له وتثبيت لفؤاده على هذا الدين، وأن لا يكترث بما يقول معارضيه من أهل قريش وأتباعهم.

أمّا الجواب عن قصة أصحاب الكهف فكان﴿**نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ**﴾ [الكهف13] بمعنى: نحن لا غيرنا نسرد عليك خبرا طويلا فيه أهمية وشأن"[1].

فكلمة "**الحقّ**" تقودنا إلى أنّه قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وأثناءها، كان هناك من يقص نبأ أهل الكهف لكن كل حسب ما سمعه، فاتسمت هذه القصص والأنباء بالكذب والتلفيق[2].

ليكون جواب قصة ذي القرنين في **قوله تعالى:** ﴿**وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا**﴾ [الكهف 83].

وصف الجواب بالذكر أي :" التذكر والتفكر أي سأتلوا عليكم ما به تذكر"[3]، فالجواب إذن لم يحمل حيثيات لقصة وإنما جزءا ضئيلا فقط ليحصل التذكر[4].

فلو جاء الجواب بالقصة كاملة من بدايتها وحتى نهايتها لَأَحْدَثَ ذلك إطنابا لا طائل منه في السورة، ولكان سببا لملل القارئ لها. ونفس الشيء نجده في الجواب المتعلق بقصة أصحاب الكهف، إذ كان يترك في كل قصة سُئل عنها جزءا ناقصا، حتى يشتغل المتطلع إليه بما سيأتي بعد هذا.

فالإجابات كانت حجاجية بامتياز، بل إن الرد على الأسئلة المطروحة يعد حجاجا وكما نعلم فإنّ الحوار يتنامى ويتنامى معه الخطاب وفق العلاقة التواصلية للسؤال والجواب التي تنتج حججا وهذا الأخير الذي يتأسس على تماسك هذه العلاقة يعمل على إحكام بنية الخطاب وتحقيق انسجامه.

وما أثْرى الجانب الدلالي للسورة هو الانسجام الحاصل بين ما تضمنته السورة من إجابات وبين التسلسل المنطقي لهذه الإجابات ويظهر هذا من خلال:

*التناسب الحاصل بين السياق الخارجي للسورة والمتعلق بأسباب النزول كون السورة نزلت للإجابة عن الأسئلة التي طرحها كفار قريش على الرسول صلى الله عليه وسلم.

---

[1] - محمد الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص271.
[2] - الألوسي: روح المعاني، ج15، ص16.
[3] - المرجع السابق، ج16، ص18.
[4] - ينظر: محمد بن صالح العثيمين: تفسير سورة الكهف، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1423هـ، ص125.

*التناسب التسلسلي في الترتيب القصصي إذ أجاب عنها بنفس الترتيب الذي جاء به كفار قريش.

*تناسب الإجابات المقدمة في كلّ قصة، حيث اكتفى في كل قصة بكشف جزء منها فقط (تشويقا لما هو قادم).

*الأسلوب الحواري الراقي في ثنايا السّورة أحدث انسجاما، حيث تميز كل حوار في القصة بما يتناسب والموقف الذي وُضِعَ له، فالحوار الذي كان بين أهل الكهف يختلف عن الحوار الذي كان بين الرجل الصالح وموسى، أو الحوار الذي كان بين ذو القرنين القوم مختلف أيضا، فتنوع هذه الحوارات أكسب السورة تنوعا دلاليا وتصويرا بيانيا بديع ساهم في تحقق الانسجام من خلال آلية السؤال والجواب، سواء الإجابات التي جاءت بها السورة أم الإجابات التي كانت في ثنايا السورة من خلال المتحاورين فيها.

كما أنّ اسم السّورة يطرح تساؤلات مضمرة، لها غرض حجاجي، باعتبار أن موضوع الكهف والفتية كان محل تحدي المشركين للنبي صلى الله عليه وسلم، فاسم السورة(الكهف) يقضي على التحدي والتشكيك من جذوره أولا، ثم يصرف ذهن المتلقي إلى توقع تفاصيل القصة بعدما اقتنع بأنّ القرآن سيحدثه عن هؤلاء الفتية يقينا.

ثانيا: حجاجية القصص في السّورة:

اتخذ القرآن الكريم من القصص سبيلا للإقناع والتأثير، إذ في كنه القصة أدلة على بطلان الشرك وعبادة الأوثان والأصنام فسياق الدليل في القصة يأخذ صورته من واقع الحياة فتصغي إليه الآذان، وتهرع إليه النفوس وتطمئن إليه القلوب فتتأثر بما فيه من عظات وعبر[1].

لكن هذا لا يُجَوِزُ لنا القول أن القرآن كتاب قصصي وإنما هو" كتاب دعوة وتشريع فإذا جاء بالقصة فإنما يأتي بها في إطار الدعوة إلى الإيمان بالله وللإشارة إلى وحدة الدعوة على الرغم تطور التكاليف من دعوة إلى أخرى حتى اكتملت بالدعوة الإسلامية"[2].

بالإضافة إلى هذا فالقصة قد تكون إجابة عن سؤال كما هو الحال في سورة الكهف التي جاءت للإجابة عن القصص التي أثارها أهل قريش لإحباط دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ونحن في بحثنا هذا سنعمد إلى اكتشاف الانسجام الحاصل بين القصص المذكورة في السورة من خلال آلية الحجاج.

فالمتأمل في سورة الكهف يدرك أن الجانب القصصي هو العنصر الطاغي، حيث بُدِأت بقصة أهل الكهف(إجابة عن السؤال)، ثم تعقبها قصة صاحب الجنتين مع إشارة إلى قصة آدم وإبليس، لتأتي قصة موسى مع العبد الصالح، وتختم بقصة ذي القرنين(إجابة عن سؤال).

في سورة الكهف تنوع ظاهر في القصص القرآني، هذا التنوع ساهم في بنائها الدلالي، حيث تناسبت كل قصة مع ما قبلها وما بعدها من القصص الواردة في السّورة لذلك نجد أن قصة الكهف تناسبت مع قصة صاحب الجنتين:

1- عن طريق ربط موقف المشركين الذين طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم طرد المؤمنين الضعفاء الأقل منهم شأنا لكيلا يُعَيروا بهم بين الأسياد فيقال أنهم جالسوا من العبيد والرقيق وهذا يضر ويحط من مكانتهم[3].

---

[1] - زاهر عوض الألمعي: مناهج الجدل في القرآن الكريم، ص79.

[2] - تمام حسان: البيان في روائع القرآن(دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993م، ص551.

[3] - مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط5، 2007م، ص222.

2- قصة صاحب الجنتين سيقت لتوبيخ زعماء قريش، الذين أهملوا عقولهم وأغفلوا معرفتهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وصدقه ونزاهته وهو الذي نشأ بينهم- فهم من أقروا له بحسن أخلاقه ونسبه- حين بعثوا إلى أحبار اليهود ليزودوهم بما يتحققون به من صدقه صلى الله عليه وسلم[1].

فهو حجاج بالمثل، لأن مثل من أغفل قلبه عن ذكر الله واتبع هواه وجعل من المال والجاه قِيَمًا ليتحكم إليها كان مصيره الضلال والخسران.

ثم تأتي قصة آدم وإبليس مردوفة لقصة صاحب الجنتين والتي تناسبت معها في:

-أن الذي يُزيّن للإنسان حب الدنيا بمالها وبنونها وكثرة الرجال فيها والنفر والجاه هو الشيطان، مثلما فعل مع آدم قبلا لذا لا ينبغي اتخاذه وذريته أولياء من دون الله لأنه سيقودهم إلى الهلاك[2].

وإذا ربطنا قصة آدم وإبليس مع قصة صاحب الجنتين ومع قصة أصحاب الكهف نجد أنها تشترك معا في:

التكبر
- موقف مشركي قريش من فقراء المسلمين وتكبرهم عليهم.
- موقف صاحب الجنتين وتكبره على صاحبه (نعمة المال، والجاه،...).
- موقف إبليس من آدم عليه السلام، فإبليس يُعتبر قدوة لكل متكبر على الحق[3].

وهذا الربط بين المواقف الثلاثة وحجاجية كل موقف أحدث انسجاما خطابيا، فالموقف الأول ساهم في بناء الموقف الثاني وتوضيحه، والموقف الثالث جاء كخلفية للموقفين الأولين.

في قصة موسى مع الرجل الصالح إجابة لكفار قريش، الذين توجهوا لأحبار اليهود ليزودوهم بما يبطل دعوة محمد ويؤكد لهم أنه رجل مُتَقَوِّل، لأن اليهود كان لها باع في أخبار الأنبياء والرسل ومعرفة علاماتهم وصفاتهم، وهو نفس الأمر بالنسبة لموسى فهو من أعظم الأنبياء وأقربهم إلى الله (فهو كليم الله)، رغم هذا لم يعلم ثلاث مسائل واحتاج إلى من يعلمه إياها ولم يؤثر ذلك على مكانته العظيمة[4].

---

[1] - ينظر: **المرجع السابق**، ص 222.
[2] - ينظر: نفسه، ص242.
[3] - ينظر: نفسه، ص242.
[4] - ينظر: نفسه، ص254.

فموقف الرسول صلى الله عيه وسلم حين سُئل وأجاب بقوله "أجيبكم غدا" ولم يفعل تشابه مع موقف موسى عليه السلام حين وعد الرجل الصالح(الخضر) بالتزام الصبر ولم يفعل[1].

فالتعالق الحاصل بين موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من مشركي قريش انسجم مع الموقف الذي كان فيه موسى عليه السلام والرجل الصالح(الخضر)، فحجاجية الموقف الأول ساهمت في انسجام الموقف الثاني.

وفي الأخير تمّ ذكر قصة ذي القرنين التي هي في أصلها إجابة على سؤال مشركي قريش، والغريب في هذه القصة أنها جمعت بين مجموع هذه القصص وهذا ما سنوضحه في الجدول التالي:

قصة ذي القرنين	**باقي القصص(قصة أصحاب الكهف)**
-الحكم الصالح، تذاعت له الأمم والشعوب بالخضوع والانصياع، فتحت له الأقاليم، يحكم بالعدل والإحسان[2].	-الحكم ظالم، تنسب الألوهية لنفسها، سخرت نفوذها في البطش والاعتداء وفرض الدين على الآخرين.
قصة ذي القرنين	**قصة صاحب الجنتين**
-إعراض ذي القرنين عن الحياة وزينتها، وسخر ما مكنه الله فيه إلى خدمة غيره	-إقبال صاحب الجنتين على الدنيا وزينتها وتمسكه بالمال والجاه وافتخاره بامتلاكها على صاحبه.
قصة ذي القرنين ذي القرنين أوتي من كل شيء سببا، وهي الأسباب الظاهرة من الخبرة والعلوم المتعلقة بسياسة الشعوب والأمم وعمارة الأرض...وكل ما من شأنه أن يمكن له في الأرض من أسباب عزة الدولة، والحاكم العادل وترسيخ أقدامه في الأرض[3].	**قصة موسى والخضر** - موسى والخضر عليهما السلام كان لديهما من العلم ما يكفيهما لسياسة الشعوب والأمم. وعمارة الأرض وإقامة حكم عادل، لكن الظروف كانت عكس ما يملكانه. -موسى والخضر لديهما إيمان مطلق بالله تعالى، إضافة إلى هذا فقد أوتي من العلم ما

[1] - البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآي والسور، ج4، ص486.
[2] - مصطفى مسلم: ص300.
[3] - ينظر: المرجع نفسه، ص301.

-قوة عقيدته وإيمانه المطلق بالله وأن توفيقه وتمكنه من الله الواحد القهار.	لم يؤت أحد مثله فعلمها لدني.

إن كل قصة من القصص الواردة في السّورة كانت تقدم إجابة وتربطها ضمنيا بما هو موجود قبلها، فتسلسلها أحدث انسجاما زمنيا في السورة، حتى إن القارئ لا يحس بانقطاع الصلة بين كل قصة وقصة أخرى، فالتنوع القصصي في هذه السورة لم يحدث تشتتا بل خلق تماسكا دلاليا بين أجزائها وأحداثها، وهذا من معجزات القرآن وسر أسلوبه العجيب فالعرب الذين كانوا يفاخرون بفصاحتهم وبراعتهم في التصوير والتشخيص، كان يعسر عليهم الجمع بين قصتين فما بالك بين ثلاث قصص، اختلفت كل واحدة عن الأخرى في فحواها ومغزاها، فالقصة ككل بنية حجاجية، وطبيعتها التركيبية متماسكة ومنسجمة وكل مُكَوّن منها يساعد على ذلك انطلاقا من تسلسل أحداثها، ومغزاها، وتطورها...

فإذا كانت القصة الواحدة تفرض الانسجام بطبيعتها فكيف بتظافر جملة منها فذلك تأكيد وتكريس له.

ومن المبادئ الحجاجية كذلك هو تناسب المقدمات مع النتائج، وهذا جاء بارزا في سورة الكهف إذ حدث تناسب بين المقدمة والخاتمة، ففي أول السورة قوله تعالى: ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّه ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِه ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا** ﴿٤﴾[الكهف1-4].

فهذه الآيات تحدثت عن حقيقة الأنبياء وأنّهم عبيد لله اصطفاهم لمهمة تبليغ الرسالة وهي نفس الفكرة التي تحملها الآيات الأخيرة من السورة إذ قال﴿**قُلْ إِنَّمَآ أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا**﴾ [الكهف 110].

وفي الحقيقة هذه هي مهمة الخطاب الحجاجي إذ إنه عبارة عن:" مجموعة من الحجج والنتائج التي تقوم بينها أنماط مختلفة من العلائق فالحجة تستدعي الحجة المؤيدة أو

المضادة، والدليل يُفضي إلى النتيجة، والنتيجة تُفضي إلى دليل آخر، وكل قول يرتبط بالقول الذي يسبقه ويوجه القول الذي يتلوه"[1].

وهذا ما لمسناه من خلال دراستنا للقصص الواردة في السورة بحيث كانت كل قصة تفضي إلى القصة التالية لها، ومن هنا يمكننا القول أن الجانب الحجاجي للقصص قد حقق انسجاما عاما بين مكونات السّورة وعناصرها، وبين أسباب نزولها.

ثالثا: التعبير الفني في السورة:

1- حجاجية التصوير الفني:

التعبير القرآني يؤلف بين الغرض الديني والغرض الفني، فيما يعرضه من الصور والمشاهد، بل إنه ليجعل من التصوير الفني أداة مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب بذلك حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، والدين والفن قبسان في أعماق النفس وقرارة الحس، وإدراك الجمالي الفني دليل على استعداد لتلقي التأثير الديني، فحين يرتفع التصوير الفني إلى هذا المستوى الرفيع، فإن النفوس تهفو إلى تلقيه.[2]

كما أن القدرة الفنية على التعبير عن أغراض القرآن وموضوعاته بالصورة الأدبية الرائعة، وهي قدرة الإعجاز البياني الذي يجعل منه وجها للظاهرة الجمالية في القرآن الكريم.[3]

فالزخم البياني الفني المتدفق في القرآن الكريم، إِنْسَاب على جميع سوره وآياته حتى إن هناك من السور القرآنية من احتوتها جميعا، كما هو الحال بالنسبة لسورة الكهف "مدونة البحث" ، حيث اشتملت على عدد كبير من الاستعارات والكنايات والتشبيهات والمجازات... الخ، ونحن إن ذكرنا بعضا منها، فهذا ليس تقصيرا منا أو تحيزا، لا ولكننا اعتمدنا على مبدأ الكثرة والتوافق مع الغرض الأساس من هذا البحث، كما يوحي به موضوعه.

فمن الصور البيانية الفنية التي جاءت في السورة ما يلي ذكره:

1-1الاستعارة:

الاستعارة الحجاجية هي: " تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي"[4]، وهو المقصود في العملية الخطابية الحجاجية وعليه يمكن

---

[1] - أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص19.
[2]- سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، دار الشروق ، بيروت، لبنان، (دت)، ص ص 17، 18.
[3]- نذير حمدان: الظاهرة الجمالية في القرآن، ص 222.
[4]- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 495.

القول أن قوة الحجاج في المفردات تبدو في الاستعمالات الاستعارية أقوى مما نحسه عند استخدامنا لنفس المفردة بالمعنى الحقيقي".[1]

ومن الصور الاستعارية التي جاءت في سورة الكهف ما يلي:

1-في قوله تعالى:﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف 05].

"**كَبُرَتْ**" فعل أصله:" الإخبار عن الشيء بضخامة جسمه، ويستعمل مجازا في الشدة والقوة في وصف من الصفات المحمودة والمذمومة على وجه الاستعارة"[2]، إذ وصفت "**الكلمة**" بالخروج الذي هو من صفات الأجسام وبما أن الأصوات والحروف والكلمات يحدث معها خروج النفس من الحلق، فوصفت الأعراض المذكورة، بوصف ما يكون سببا لحدوثها.

2-في قوله تعالى :﴿ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾[الكهف 08].

الشاهد في هذه الاستعارة أن لفظ "**جرزا**" استعير للدلالة على هول يوم القيامة وما سيكون عليه، فالحياة الدنيا وزينتها التي انبهرّ بها البشر مآلها الزوال، فهذا دليل على فناء الدنيا وزينتها.

3-قوله تعالى :﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَاْ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾[الكهف 14].

والربط على القلب مستعار إلى تثبيت الإيمان وعدم التردد فيه، فالمعروف على القلوب أنها تتقلب وتتأثر حسب الأحوال والظروف التي يحياها أصحابها، لكن الأمر اختلف مع أصحاب الكهف، إذ ثَبّت الله قلوبهم وربط على عزيمتهم فالربط دال على الجمع بين طرفين أو أكثر، وهو إحالة على قوة التجميع، ومجيء الفعل "**ربط**" على صيغة الماضي دليل على الثبات.

4-قوله تعالى:﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ [الكهف 28].

---

[1]- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2]- الطاهر ابن عاشور: التحرير والتنوير، ص252.

جاءت الاستعارة في الفعل " **أَغْفَلْنَا**" وبما أن الاستعارة مقوم دلالي انزياحي فان الفعل "**غفل**" يكون في الأصل للإبل، فغفل إبله من غير سمه أو علامة، فاستعير اللفظ لجعل ذكر الله الدال على الإيمان علامة لثبوت الإيمان في القلب".[1]

فالفعل"**غفل**" دليل على عدم الوضوح، ومنه فالقلب اللاهي عن ذكر الله حتما سيضيع بين المعاصي والمحرمات لأنه يتبع هواه ورغباته لذا يكون أمره فرطا.

5-**قوله تعالى:**﴿... **فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ** ﴾ [الكهف 50].

جاءت الصورة الاستعارية في الفعل " **فَسَقَ**" لأن الفسق وكما جاء في اللسان " فسق بمعنى الخروج" لذا سميت بعض الحيوانات فواسق على سبيل الاستعارة وهذا لخبثهن[2] فإبليس كان في مصاف الملائكة وعندما أبى واستكبر طرده الله من جنته وجعله قدوة لكل متكبر خارج عن أمر ربه، فكلمة "**فسق**"هي الشاهد على أخذ إبليس عدوا لا قدوة.

6-**قوله تعالى:**﴿ **وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا** ﴾[الكهف 99].

الاستعارة جاءت في الفعل " **يَمُوجُ**" أي يضطرب كأمواج البحر وذلك بسبب التدافع والتصادم، فحالة الاضطراب والاختلاط الناجمين عن الحيرة مع تزايد تلك الحركة والتلاطم يخيل إليك صورة البحر المائج المتلاطم مع ما يلاحظ عليه من شدة وقوة تلك الحركة في أمواجه.

1-2 حجاجية الاستعارة والانسجام:

من خلال سرد الاستعارات السابقة المبثوثة في ثنايا السورة نستشف أن لها دورا كبيرا في إبراز المعاني والكشف عنها، إذ تكمن فعاليتها البلاغية في الإقناع والتأثير، حيث أن الشاهد الذي يكون في الصورة الاستعارية يكون له مدلول أقوى وأدعى من الحقيقة لتحريك همة المُخَاطَبْ إلى الاقتناع، فكلمة " **كبرت**" مثلا توحي بعظم الذنب الذي يقترفه الكفار في حق الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن الذي يتفوهون به ليس إلا كذبا وزورا، فلو اكتفى بمعناه الحقيقي لما أحدث تلك الحجاجية بين أقواله صلى الله عليه وسلم وأقوالهم.

[1]- ابن منظور: ج36، مادة (غفل)، ص 3277.
[2]- المرجع السابق، ج37، مادة (فسق)، ص 3414.

وكلمه "**جرزا**" تصور نهاية الحياة الدنيا وزوالها والخراب الذي سيحل بالأرض ومن عليها ، فهي حجاج عليهم لأنهم كانوا يقولون أن الحياة ما هي إلا حياة واحدة نعيشها وأن البعث والزوال ما هي إلا خرافات جاء به محمد وأصحابه.

وفي كلمة "**ربطنا**" حجاج آخر لقدرة الله على البعث والإحياء وهذا ما جاءت به قصة أصحاب الكهف، وهو دليل آخر على أن أهل الكهف لم يموتوا بل أنامهم الله فقط والربط على قلوبهم شاهد على شدة إيمانهم وقوة عقيدتهم، رغم ما كان سائدا من فساد في عصرهم ورغم العنف الممارس عليهم لترك دينهم وإتباع أهواء أمرائهم وسلاطينهم الذين كانوا يدعونهم إلى التخلي عن دينهم، فهذا الحجاج صَوَّر شدة وقوة تمسك هؤلاء الفتنة بدينهم.

ولكلمة " **أغفلنا**" جانب حجاجي كبير، فالغافل قلبه عن ذكر الله حاله كالإبل الغافلة من غير علامة أو أثر بل أضل منها، أي أن طريق عودته ورجوعه إلى الهداية مجهول وقد لا يحصل أبدا إلا بإذنه تعالى.

فالاستعارة" تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ... إنّك لترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبنية، والمعاني الخفية بادية جلية... وإن شئت أرتك المعاني اللفظية التي هي من خبايا العقل كأنها قد جسمت حتى رأتها العيون"[1]، هذا هو فعل الاستعارة في اللغة بل إنّها لم تكتف بهذا وحسب بل راحت تحاجج وتلقي بظلالها على المتلقي فتصنع بذلك انسجاما لغويا بيانيا بين تراكيبها ومعانيها.

فالجانب الحجاجي الذي تسعى إليه البلاغة يتجسد من خلال قوة كلماتها وإبداعات مؤلفيها، وانسجام معانيها.

فصاحة الألفاظ، والصور الفنية لا يكون لها معنى، إذا لم تحدث تأثيرا في المُخَاطَبْ سواء بالإقبال أم بالإحجام فهذين الفعلين الأخيرين يوحيان بالانسجام الحاصل بين المُخَاطِب والمُخَاطَب سواء على مستوى الكلمات المرفوعة أم على مستوى الآراء المقدمة.

1-3 الكناية:

في هذا التصوير البياني الذي يجد فيه المُخاطَب مالا يجده في التعبير الصريح لأن: "الكناية تعرض المعنى مصورا بصورة محسوسة فيزداد تعريفا وضوحا"[2]. فهي تشخص الأشياء المعنوية لتجعلها أكثر إدراكا وتقبلا لدى السامع فالتلميح أفضل من التصريح

[1]- **الجرجاني: أسرار** البلاغة، شرح وتعليق وتحقيق: محمد رشيد رضا دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م، ص 33.
[2]-عبد الفتاح لاشين: البيان في ضوء أساليب القرآن، دار المعارف، مصر ، ط1، 1984م، ص 284.

(مراوغة عقلية)، لأن العقل سيحتار بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن لذا نجد القرآن الكريم يستخدم هذه الآلية بكثرة لأنها من الإعجاز البياني الذي تحدى به العرب الذين كانوا يفاخرون بعربيتهم وفصاحتهم ليقفوا مذهولين أمام حسن بيان هذا القرآن وروعة صوره البيانية

ومن الكنايات الواردة في السورة ما يلي:

1- **قوله تعالى:﴿فَضَرَبنا عَلى آذانِهِم فِي الكَهفِ سِنينَ عَدَدًا﴾** [الكهف 11]

الضرب هنا بمعنى الوضع كما يقال ضرب عليه حجابا...أي ضربنا على آذانهم غشاوة أو حائلا عن السمع... والضرب على الآذان كناية عن الإنامة لأن النوم الثقيل يستلزم عدم السمع لأن السمع السليم لا يحجبه إلا النوم بخلاف البصر الصحيح فقد يحجب بتغميض الأجفان"[1].

2- **قوله تعالى: ﴿إِنَّهُم إِن يَظهَروا عَلَيكُم يَرجُموكُم أَو يُعيدوكُم في مِلَّتِهِم وَلَن تُفلِحوا إِذًا أَبَدًا﴾ [**الكهف 20].

هي كناية عن ضعف الفتية، لأنهم لو تمكنوا منهم فسيرجمونهم وهو أقصى ما سيعذبون به، وهو بيان لهول ما سيقولونه من القوم الظالمين، أما قوله تعالى:"يعيدوكم في ملتهم" أي أنهم سيعدونهم إلى الكفر الذي هم فيه – القوم – ليكتفي بالتلميح إليه فقط.

3- **قوله تعالى: ﴿وَأُحيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيهِ عَلى ما أَنفَقَ فيها وَهِيَ خاوِيَةٌ عَلى عُروشِها﴾**[الكهف 42].

تقليب الكفين كناية عن التحسر والندم على ضياع الجهد والمال لذا وصف صاحب الجنتين بهذا الوصف بعد أن "**أحيط بجنته وثمرها**".

4/ **قوله تعالى: ﴿... وَيَقولونَ يا وَيلَتَنا مالِ هذَا الكِتابِ لا يُغادِرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً إِلّا أَحصاها﴾**[الكهف 49] فعبارة "لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها" كناية عن الدقة التي يتصف بها كتاب كل واحد من البشر، فهذا دليل على أن الله جعل لكل واحد" **رقيب عتيد**".

[1]- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، ص 268.

4-1 حجاجية الكناية والانسجام:

حجاجية الكناية تكمن في علاقتها القائمة على اللزومية بين المعنى الظاهر والمعنى المستلزم، فبين المعنى الأول والمعنى الثاني يتحقق الانسجام.

فالضرب على الآذان دليل على النوم العميق والطويل وهو ما تؤكده العبارة التالية لها" **في الكهف سنين عددا**" فهذه الأخيرة أضفت على الحجة نوعا من التوضيح ما ساهم في انسجام المعنى وتطابق المقدمة مع النتيجة.

أمّا الكناية الثانية" **أن يظهروا عليكم يرجموكم**" فهي شاهد على أن القوم لو عثروا على الفتية (أهل الكهف)فسوف يُعَذبونهم، فحملت هذه الكناية الحجاجية الدليل على أن العثور عليهم يستلزم التعذيب أو الرجم.

وتقليب الكفين في الكناية الثالثة دليل على التحسر والندم الحاصل على التكبر والتفاخر بما هو زائل وهي حجة على الفناء والزوال.

أمّا الكناية الأخيرة فهي دليل على شدة ودقة المراقبة فالشاهد في هذه الكناية هو أن الله قد جعل لكل الإنسان رقيب يحصي كل شيء حتى يكون عمله يوم القيامة حجة له أو عليه، فهذا المعنى الضمني جسد انسجاما بين المعنى الظاهر والمعنى الخفي (البعيد).

فحجاجية الكناية تكمن في انسجام المعنى الظاهر والمعنى الباطن وهذا من خلال ربط الأول بالثاني والعكس صحيح.

فالكناية خرجت من دائرة التصوير البياني إلى دائرة الحجاج وتحقيق الانسجام في علاقة تلازمية بين المعنى المستلزم والدليل الذي يحمله.

2/البديـــــــع:

" يستعمل المرسل أشكالا لغوية تُصنّف بأنها أشكالا تنتمي إلى المستوى البديعي وأن دورها يقف عند الوظيفة الشكلية.

وهذا الرأي ليس صحيحا، إذ إن لها دورا حجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، حتى لو تخيل الناس غير ذلك. والبلاغة العربية مليئة بهذه الصور والإمكانيات ومليئة بالشواهد التي تثبت أن الحجاج من وظائفها الرئيسية

وليس وجودها على سبيل الصنعة في أصلها وإن كان لا يمنع المرسل من أن يبدع كيفها شاء[1].

وأبرز ظاهرة بديعية حققت الانسجام بفعل الحجاج في سورة الكهف.

2-1 الطّبـــاق:

ومن الطباقات الواردة في السورة ما يلي:

1- قوله تعالى: ﴿ الحَمدُ للَّـهِ الَّذي أَنزَلَ عَلى عَبدِهِ الكِتابَ وَلَم يَجعَل لَهُ عِوَجًا﴿١﴾قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأسًا شَديدًا مِن لَدُنهُ وَيُبَشِّرَ المُؤمِنينَ ﴿٢﴾[الكهف 1-2].

الطباق واقع في " **العوج**" و" **القيم**" وكذلك الفعلين "**ينذر**" و "**ويبشر**"

2- **قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمسَ إِذا طَلَعَت تَزاوَرُ عَن كَهفِهِم ذاتَ اليَمينِ وَإِذا غَرَبَت تَقرِضُهُم ذاتَ الشِّمالِ وَهُم في فَجوَةٍ مِنهُ ذلِكَ مِن آياتِ اللَّـهِ مَن يَهدِ اللَّـهُ فَهُوَ المُهتَدِ وَمَن يُضلِل فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُرشِدًا﴾**[الكهف 17].الطباق واقع في "طلعت" و"غربت" ، و"يهدي" و"يضلل"

3- **قوله تعالى: ﴿وَتَحسَبُهُم أَيقاظًا وَهُم رُقودٌ... ﴾** [الكهف 18].

الطباق حاصل في " أيقاظا " و" رقود".

4- **قوله تعالى: ﴿ وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدعونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ﴾** [الكهف 28] **جاء الطباق بين**" الغداة " و " العشي".

5- **قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِن رَبِّكُم فَمَن شاءَ فَليُؤمِن وَمَن شاءَ فَليَكفُر ﴾** ورد الطباق بين " يؤمن و يكفر".

وقد نجد طبقات قائمة على استخلاص المعاني مثل:

***في قوله تعالى: ﴿فَضَرَبنا عَلى آذانِهِم فِي الكَهفِ سِنينَ عَدَدًا ثُمَّ بَعَثناهُم﴾** [الكهف 11-12]

الطباق حاصل بين " فضربنا على آذانهم" وثم " بعثناهم" فالأول يوحي على معنى "النوم" والثاني " الاستيقاظ".

وفي قوله:" فَأووا إِلَى الكَهفِ يَنشُر لَكُم رَبُّكُم مِن رَحمَتِهِ وَيُهَيِّئ لَكُم مِن أَمرِكُم مِرفَقًا﴾ [الكهف 16].

[1]-عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات **الخطاب**، ص ص 497، 498.

فالكهف يدل على الضيف ليقابله سعة الرحمة التي انتشرت فيه.

2-2 حجاجية الطباق والانسجام:

للطباق وظائف حجاجية تحقق الانسجام نختصرها في:

1-المبالغة: مثلما جاء في طباق " أيقاظ" و" رقود" الأصل: رقود، وصفهم: بأيقاظ وهذا عكس الأصل والغرض الحجاجي هو: قدرة الله سبحانه وتعالى في أن يحفظهم طول تلك السنين في الكهف بجوّه القاسي (حر الصيف وقر الشتاء...)

2-**تبيان الشيء بضده:** في " طلعت" و" غربت" ، الغداة" و" العشي"، "يؤمن" و"يكفر".

يظهر الغرض الحجاجي من الفعلين " طلعت" و" غربت" على طول مدة مكوثهم في الكهف وهذا ما أكدّه كذلك فعل مضارعة" تزّاور" الذي يدل على تكرار ذلك حتى بعثهم الله من مرقدهم.

أمّا في حالة الطباق الذي كان بين " الغداة" و" العشي" فهو شاهد على ديمومة اتصال العبد بربه ، إذ لا يوجد وقت محدد ليتصل العبد بربه وخاصة في حالة الصبر على الطاعة.

من خلال الوظيفتين الحجاجتين نهتدي إلى ما يلي:

علاقة التضاد ليست إلغائية في المحسن البديعي (الطباق) وإنّما تكاملية فالإضاءة على طرف ينعكس بالوضوح على الآخر وهذا ما يحقق الانسجام.

وسورة الكهف تضمنت صورا كثيرة من الطّباق وساهمت في بناء خطاب حجاجي منسجم، وهذا من خلال التصوير البديع الفذ، لأن ربط اللفظ بضده يوضح معناه أكثر ويساعد على تقوية الموقف المدافع عنه فإن أحسن المُخاطِب توظيف تلك الصور وأحسن سبكها في قالب فني بديع تمكّن من التأثير في المخاطَب ، لأن" الجناس والطباق وغيرها ليست اصطناعا للتحسين والبديع وإنما هي أصلا، أساليب للإبلاغ والتبليغ"[1] والتأثير مثلما أثبتناه.

[1] -المرجع السابق، ص 498.

رابعا: حجاجية اللغة في السّورة:

1/ الروابط الحجاجية:

هناك بعض الأدوات اللغوية التي يكون دورها هو الربط الحجاجي بين قضيتين وترتيب درجاتها بوصف هذه القضايا حجاجا في الخطاب ومن هذه الروابط:

أ-الــواو:

حرف من حروف العطف، يعمل على الترتيب والربط بين الجمل، لكن إذا عمدنا إلى وصفه رابطا من الروابط الحجاجية فهو يعمل كذلك على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعض؛ أي متى أحسن المخاطِب توظيفها، أدى ذلك إلى بناء خطاب بناء حجاجيا[1].

والأمثلة الواردة في سورة الكهف كثيرة، لهذا سنعمد إلى دراسة البعض منها.

1- **قوله تعالى: ﴿إِنّا جَعَلنا ما عَلَى الأَرضِ زينَةً لَها لِنَبلُوَهُم أَيُّهُم أَحسَنُ عَمَلًا﴿٧﴾ وَإِنّا لَجاعِلونَ ما عَلَيها صَعيدًا جُرُزًا﴾** الكهف[7-8].

فالرابط الحجاجي (الواو) -هنا- قام بالوصل بين الحجة والأخرى فخلق الأرض وجعلها زينة إنّما هو بلاء فقط، لأنّ " الاستدلال بحال الأرض التي عليها الناس أقرب إلى حسهم وتعقلهم"[2].

فهذه الحجة مهدت للحجة التي تليها وهي الفناء لأنه" سيجعل ما على الأرض كله معدوما فلا يكون على الأرض إلا تراب جاف أجرد لا يصلح للحياة فوقه"[3].

فالواو قام بالوصل بين الحجة الأولى والثانية، كما قام بترتيبها (الإيجاد ثم الإنهاء) فاتسمت هذه الحجج بالترابط و الانسجام.

2- **قوله تعالى: ﴿نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ نَبَأَهُم بِالحَقِّ إِنَّهُم فِتيَةٌ آمَنوا بِرَبِّهِم وَزِدناهُم هُدًى﴿١٣﴾وَرَبَطنا عَلى قُلوبِهِم إِذ قاموا﴾**الكهف[13-14].

---

[1]- ينظر: المرجع السابق، ص 472.

[2]- الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ص 256.

[3]- نفسه، ص 258.

فالرابط (الواو) ربط بين الحجة الأولى وهي الإيمان، والربط على القلوب الذي هو إشارة إلى" تثبيت الإيمان وعدم التردد فيه"[1] فالحجة الثانية جاءت لتؤكد الحجة الأولى وتجعلها أكثر قوة ما حقق انسجاما بين الآية السابقة واللاحقة.

3- **قوله تعالى: ﴿سَيَقولونَ ثَلاثَةٌ رابِعُهُم كَلبُهُم وَيَقولونَ خَمسَةٌ سادِسُهُم كَلبُهُم رَجمًا بِالغَيبِ وَيَقولونَ سَبعَةٌ وَثامِنُهُم كَلبُهُم قُل رَبّي أَعلَمُ بِعِدَّتِهِم ما يَعلَمُهُم إِلّا قَليلٌ فَلا تُمارِ فيهِم إِلّا مِراءً ظاهِرًا وَلا تَستَفتِ فيهِم مِنهُم أَحَدًا﴾**[الكهف 22].

فالواو رتبت الحجج في الآية ووصلت بينها فالحجة الأولى مهدت للثانية والثانية مهدت للثالثة ليأتي التأكيد في الأخير أن علمهم عند ربهم "وقليل من الخلق يعلمون عدتهم وهم من أطلعهم الله على ذلك وفي مقدمتهم محمد صلى الله عليه وسلم لأن قصتهم جاءت على لسانه"[2].

فترتيب الحجج من الأقل احتمالا إلى الأكيد حقق انسجاما وتطابقا عقليا بينها.

4- **قوله تعالى: ﴿وَاصبِر نَفسَكَ مَعَ الَّذينَ يَدعونَ رَبَّهُم بِالغَداةِ وَالعَشِيِّ يُريدونَ وَجهَهُ وَلا تَعدُ عَيناكَ عَنهُم تُريدُ زينَةَ الحَياةِ الدُّنيا وَلا تُطِع مَن أَغفَلنا قَلبَهُ عَن ذِكرِنا وَاتَّبَعَ هَواهُ وَكانَ أَمرُهُ فُرُطًا﴾** [الكهف28].

في الأمثلة السابقة الواو جمعت بين قضيتين:

*الصبر مع الذين يدعون ربهم ويريدون وجهه.

*عدم طاعة من قلبه غافل عن ربه ويتبع هواه.

لأن من يتبع من قلبه غافل عن طاعة ربه سيخسر في النهاية، فالأفضل له الصبر فالحجة الثانية أثبتت أنّ الصبر على الطاعة خير من إتباع من قلبه غافل عن ربه، وهنا جمعت الواو بين حجتين إحداهما تثبت الثانية وتقوي من حجاجيتها لأن الجمع بين متناقضتين يحقق الانسجام.

5- **قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الجِدارُ فَكانَ لِغُلامَينِ يَتيمَينِ فِي المَدينَةِ وَكانَ تَحتَهُ كَنزٌ لَهُما وَكانَ أَبوهُما صالِحًا فَأَرادَ رَبُّكَ أَن يَبلُغا أَشُدَّهُما وَيَستَخرِجا كَنزَهُما رَحمَةً مِن رَبِّكَ وَما فَعَلتُهُ عَن أَمري ذلِكَ تَأويلُ ما لَم تَسطِع عَلَيهِ صَبرًا﴾**[الكهف 82].

في هذه الآية عدد من الحجج جمعها هذا الرابط –الواو–

[1]- المرجع السابق، ص 272.
[2]- نفسه، ص 291.

*وجود كنز تحت الجدار.

*استخراج هذا الكنز.

*أمر الهي.

فالواو جمعت هذه الحجج ورتبها ترتيبا منطقيا بحيث لو تقدمت حجة على أخرى لأحدث ذلك خلطا وتشويشا لدى المخاطَب، هذا ما جسد الانسجام الحجاجي في هذه الآية الكريمة.

6- **قوله تعالى: ﴿وَتَرَكنا بَعضَهُم يَومَئِذٍ يَموجُ في بَعضٍ وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَجَمَعناهُم جَمعًا﴿٩٩﴾وَعَرَضنا جَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لِلكافِرينَ عَرضًا﴾**[الكهف 99-100].

فالرابط الحجاجي (الواو) قام بالوصل بين حجة (الترك) وحجة(النفخ) وهذا من خلال ترتيبها لتخدم النتيجة وهي (العرض) على جهنم للضالين عن سبيل الله، فكل حجّة من الحجج المقدمة كانت تقوي وتدعم الحجّة الأخرى.

إذن فالواو من الروابط الحجاجية التي تسهم في ترتيب وربط الحجج، لتصل إلى النتيجة المرجوة، وبالتالي تحقيق الانسجام على مستوى الخطاب الحجاجي.

ب-الفـــاء:

من الروابط الحجاجية وهي تلعب نفس الدور الذي يلعبه الواو(الربط، الترتيب، تحقيق الترابط وتدعيم الحجج المدرجة في الخطاب، وهي كثيرة في هذه السّورة منها:

1- **قوله تعالى: ﴿قالوا رَبُّكُم أَعلَمُ بِما لَبِثتُم فَابعَثوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُم هذِهِ إِلَى المَدينَةِ فَلينَظُر أَيُّها أَزكى طَعامًا فَليَأتِكُم بِرِزقٍ مِنهُ وَليَتَلَطَّف وَلا يُشعِرَنَّ بِكُم أَحَدًا﴾** [الكهف 19]

فالرابط الحجاجي (الفاء) ربط بين عدّة متغيرات حجاجية (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) (فلينظر أيّها أزكى) و(فليأتكم برزق) فهذه القضايا الثلاث مربوطة بنتيجة واحدة وهي" **وَليَتَلَطَّف وَلا يُشعِرَنَّ بِكُم أَحَدًا** " فالربط بين هذه الحجج بواسطة (الفاء) حقق انسجاما حجاجيا

2- **قوله تعالى: ﴿وَمَن أَظلَمُ ممَّن ذُكِّرَ بِآياتِ رَبِّه فَأَعرَضَ عَنها وَنَسِيَ ما قَدَّمَت يَداهُ إِنّا جَعَلنا عَلى قُلوبِهِم أَكِنَّةً أَن يَفقَهوهُ وَفي آذانِهِم وَقرًا وَإِن تَدعُهُم إِلَى الهُدى فَلَن يَهتَدوا إِذًا أَبَدًا﴾**[الكهف 57].

في هذه الآية الرابط الحجاجي (الفاء) ذكر بحجة الذي أعرض عن آيات ربه وهذا بسبب الغطاء الذي يحجب عنه فقهها، فكانت النتيجة هي الضلال والتيه فهذا التسلسل في تقديم وإيضاح أسبابها وربطها بنتيجتها ساهم في انسجام الخطاب.

3- قوله تعالى: ﴿ قالَ أَرَأَيتَ إِذ أَوَينا إِلَى الصَّخرَةِ فَإِنّي نَسيتُ الحوتَ وَما أَنسانيهُ إِلَّا الشَّيطانُ أَن أَذكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبيلَهُ فِي البَحرِ عَجَبًا﴾ [الكهف الآية 63].

فالحجّة التي جاءت بعد الرابط (الفاء) كانت بمثابة اعتذار عن نسيانه، فالفاء هنا حرف عطف فالملة الاسمية معطوفة على ما قبلها، فخدمت النتيجة وهي الرجوع على عاقبيه لملاقاة سيدنا الخضر كما جاء في باقي أحداث القصة.

4- قوله تعالى: ﴿ **فَانطَلَقا حَتّى إِذا أَتَيا أَهلَ قَريَةٍ استَطعَما أَهلَها فَأَبَوا أَن يُضَيِّفوهُما فَوَجَدا فيها جِدارًا يُريدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقامَهُ قالَ لَو شِئتَ لَاتَّخَذتَ عَلَيهِ أَجرًا**﴾ [الكهف الآية 77].

في هذه الآية كانت الحجة هي إقامة الجدار الذي كان على وشك الانهيار، رغم أن أهل القرية لم يطعموهما، فربطت الفاء بين حجة إقامة الجدار، وعدم إطعامهم للوصول إلى النتيجة وهي استخراج الكنز من طرف الولدين اليتمين مستقبلا، فهذا الربط الحجاجي حقق انسجاما حجاجيا.

5- قوله تعالى: ﴿أُولئِكَ الَّذينَ كَفَروا بِآياتِ رَبِّهِم وَلِقائِهِ فَحَبِطَت أَعمالُهُم فَلا نُقيمُ لَهُم يَومَ القِيامَةِ وَزنًا﴾ [الكهف 105].

هنا ربطت الفاء بين الحجة وهي الكفر بآيات الله والنتيجة وهي إحباط أعمال أصحابها وعدم إقامة لهم وزنا فالفاء ربطت الحجة بالنتيجة مباشرة ما حقق انسجام الحجة مع النتيجة وهذا بسبب تطابق المقدمات مع النتائج.

ج- حتـــى:

هي إمّا للجر وتعني انتهاء الغاية، على أن يراعي المرسل تحقق شروط مجرورها في التركيب فالشرط الأول:

- أن يكون ظاهرا في الغالب.

– أن يكون آخر جزء أو ملاق لآخر جزء وأن يكون المجرور بها داخلا فيما قبلها على الغالب وأن يكون الانتهاء به أو عنده وإمّا للعطف حيث يراعي المرسل شروط المعطوف وهي:

– أن يكون بعض ما قبلها أو كبعضه.

– أن يكون غاية لما قبلها في زيادة، والزيادة تشمل القوة والتعظيم، والنقص يشمل الضعف والتحقير[1].

ومما ورد منها فسورة الكهف ما يلي:

1– قوله تعالى: ﴿**وَإِذ قالَ موسى لِفَتاهُ لا أَبرَحُ حَتّى أَبلُغَ مَجمَعَ البَحرَينِ أَو أَمضِيَ حُقُبًا**﴾[الكهف 60].

حتى هنا حرف جر وغاية، أي أنه سيواصل السير حتى يبلغ ملتقى البحرين أو سيواصل السير.

والرابط الحجاجي (حتى) أدرج الحجج القوية، فالحجة الأقوى عند موسى هي حين أكد مواصلة السير لبلوغ ملتقى البحرين فهذا التدرج في الحجج من الأقوى إلى الأقل منها ساهم في تحقيق الانسجام.

2– قوله تعالى:﴿**فَانطَلَقا حَتّى إِذا رَكِبا فِي السَّفينَةِ خَرَقَها قالَ أَخَرَقتَها لِتُغرِقَ أَهلَها لَقَد جِئتَ شَيئًا إِمرًا**﴾ [الكهف 71]

فحتى بينت أن خرق السفينة جاء بعد ركوبها وليس قبل، وهنا إبانة للدور الذي يلعبه الرابط الحجاجي (حتى) من تبيان الحالة، فهذا الكشف ساهم في إثراء المعنى وتحقق الانسجام.

3– قوله تعالى: ﴿ **فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا**"﴾ [الكهف74]

فقتل الغلام كانت حجته الأمر الإلهي للعبد الصالح، فحجة الأمر الإلهي أقوى من حجة القصاص.

فالربط بين ما هو غيبي وما هو واقعي من خلال الرابط الحجاجي (حتى) أثرى الجانب الدلالي للآية.

[1]- ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب ، ص ص 517، 518.

4- قوله تعالى: ﴿ إِنّا مَكَّنّا لَهُ فِي الأَرضِ وَآتَيناهُ مِن كُلِّ شَيءٍ سَبَبًا﴿٨٤﴾فَأَتبَعَ سَبَبًا﴿٨٥﴾حَتّى إِذا بَلَغَ مَغرِبَ الشَّمسِ وَجَدَها تَغرُبُ في عَينٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَها قَومًا قُلنا يا ذَا القَرنَينِ إِمّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمّا أَن تَتَّخِذَ فيهِم حُسنًا﴾ [الكهف 84-86].

فذوا القرنين" سلك طريقا يوصله إلى ما يريده وقدره الله له"[1]، فهو " سار بجيشه من جهة المغرب التي تغرب فيها الشمس"[2].

فالرابط الحجاجي (حتى) جاء ليؤكد أنّ ذي القرنين وصل إلى مغرب الشمس وهذا تأكيد للكلام الذي قبله بأن الله قد يسّر لذي القرنين من كل شيء سببا، فهذه الحجة القوية تنفي كل حجة تنفيها أو تحاول دحضها وهو نفس الأمر في **قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتبَعَ سَبَبًا﴿٩٢﴾ حَتّى إِذا بَلَغَ بَينَ السَّدَّينِ وَجَدَ مِن دونِهِما قَومًا لا يَكادونَ يَفقَهونَ قَولًا﴾ [**الكهف 89-93]. هذا التصوير الجمالي والترتيب للحجج حقق انسجاما منسابا على مضمون هذه الآيات.

وهنا تكمن فعالية دور الروابط الحجاجية في ترتيب الحجج، ونسج خطاب واحد منسجم، بل إنها تفصل مواضع الحجج وتقوي كل حجة منها الحجة التي تكون معها.

2-العوامل الحجاجية:

إذا كانت الروابط الحجاية تربط بين قولين أو قضيتين فإن العوامل الحجاجية تعمل على" حصر وتقييد الإمكانيات الحجاجية التي تكون بقول ما"[3]، ومن العوامل الحجاجية التي جاءت في سورة الكهف عاملان رئيسان هما: القصر والاستفهام

2-1-القصر بـ (ما...إلاّ):

1-**قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اعتَزَلتُموهُم وَما يَعبُدونَ إِلَّا اللَّهَ فَأوُوا إِلَى الكَهفِ يَنشُر لَكُم رَبُّكُم مِن رَحمَتِهِ وَيُهَيِّئ لَكُم مِن أَمرِكُم مِرفَقًا﴾ [**الكهف 16].

أي حين قال بعضهم لبعض: اذكروا حين اعتزلتم هؤلاء الكافرين واعتزلتم عبادتهم إلا عبادة الله[2]، إذ قصر العبادة لله وحده وقوله" فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته

---

[1]- محمد علي الدّرة: تفسير القرآن الكريم وإعرابه، دار ابن كثير، دمشق، المجلد 5،ط1، 2009، ص 530.
[2]- نفسه، ص 531.
[3]- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص 27.
[4]- المرجع نفسه، ص 441

" ويهيئ لكم من أمركم مرفقا " بمعنى ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا بمعنى أن الله جعل لهم الكهف مكان ليختبئوا فيه حماية لهم ولدينهم.

2- **قوله تعالى:** ﴿**ما يَعلَمُهُم إِلّا قَليلٌ فَلا تُمارِ...** ﴾ [الكهف 22].

هنا قصر معرفة عددهم على القليل فقط، لأنه لما نزلت سورة الكهف أُخْتُلِفَ في عددهم بين الناس، فجاء هذا القصر ليحدد أن الذي يعلم عددهم هو الله وحده مع القلة القليلة من عباده.

3- **قوله تعالى:**﴿**...وَما أَنسانيهُ إِلَّا الشَّيطانُ**﴾ [الكهف 63].

العامل(ما ...إلاّ) قصر النسيان على الشيطان فهذا القصر أعدم تعدد الحجج والأعذار، ما أسهم في توضيح الحجة المقصودة، فالدقة في الحجة تكسب الخطاب الحجاجي انسجاما تاما بين معناه الدلالي والهدف الخطابي (الإقناع والتأثير...).

2-2 القصر ب .(لا...إلاّ)

1- قوله تعالى: ﴿**... قُلتَ ما شاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلّا بِاللَّهِ** ﴾ [الكهف 39].

العامل (لا...إلاّ) قصر القوة لله وحده دون سواه وأن كل من يدعى القوة من دونه فهو مفتر، بل إن الذي يبثها هو الله الواحد القهار.

فهذه الحجة تبطل قول كل من يدعي القوة وينسبها لنفسه فهو لا يجابه الله سبحانه وتعالى، ومتى أدعى ذلك فسيهلك لا محالة.

2- **قوله تعالى:** ﴿ **وَلا كَبيرَةً إِلّا أَحصاها**﴾ [الكهف 49].

إن الدور الذي لعبه العامل (لا...إلاّ) هنا هو التعبير عن مدى دقة هذا الكتاب فهو يحصي كل شيء سواء أكان كبيرا أم صغيرا.

فهذه العوامل(ما...إلاّ) و(لا...إلاّ) من خلال قصرها على حجّة دون أخرى يساهم في تحقيق الانسجام الحجاجي للخطاب القرآني؛ لأنّه كلّما كانت الحجّة قوية ومقصورة على شيء واحد ومحدد تحقق القبول والإذعان، وانسجم الخطاب في معانيه واستقام في تراكيبه فترتيب الحجج وقصرها يقضي على الاحتمالات التي تؤدي إلى التشويش والركاكة وقتل الروح الحجاجية للخطاب.

2-3 الاستفهام:

قبل البدء يجب الإشارة إلى أن هناك نوعين من الاستفهام

أ- **الاستفهام الحجاجي:** وهذا النمط من الاستفهام يستلزم تأويل القول المراد تحليله انطلاقا من قيمته الحجاجية، على أنه يتجه وجهة القول المنفي.

ب- الاستفهام العادي: وهو الذي يقصد من ورائه المستفهم إلى معرفة صدق الخبر أو كذبه، مع إمكانية أن هذا النوع قد يوظفه المتكلم ويصبح بالتالي عنصرا من عناصر العلاقة الحجاجية[1].

ونحن في هذا البحث سنعمد إلى إبانة القوة الإنجازية للسؤال البلاغي وطاقته الحجاجية في انسجام السورة وهذا من خلال:

1- **قوله تعالى: ﴿أَم حَسِبتَ أَنَّ أَصحابَ الكَهفِ وَالرَّقيمِ كانوا مِن آياتِنا عَجَبًا﴾**[الكهف 9].

أي أتظن أن هؤلاء الفتية كانوا " أعجب من بقية آياتنا"، لا فالذي يقدر على أن يحي الموتى لا يعجزه إيقاظا من هو نائم فحسب ، وإن طالت فترة نومه، فحجاجية السؤال تكمن في الإجابة الضمنية له، فعندما تجسدت حجاجيته تحقق الانسجام في الخطاب.

2-قوله تعالى: ﴿قالَ قائِلٌ مِنهُم كَم لَبِثتُم قالوا ﴾ [الكهف 19].

حجاجية هذا السؤال لا تكمن في الإجابة عنه، وإنما تظهر فعاليته في لفت انتباههم إلى طول فترة مكوثهم في ذلك الكهف.

3- **قوله تعالى:﴿قالَ لَهُ موسى هَل أَتَّبِعُكَ عَلى أَن تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمتَ رُشدًا﴾ [**الكهف 66]. الاستفهام الوارد في هذا الخطاب بمثابة استئذان.

فليس كل استفهام حاصل يكون لغرض تحقيق الفهم، بل يتعداه إلى أمور أخرى كما هو الأمر في هذه الخطاب.

فهذا التنوع الدلالي للاستفهام يثري الجانب الفني للخطاب ما يحقق الانسجام.

4- قوله تعالى: ﴿ أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا ﴾ [الكهف 102].

[1]- ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص ص 56-57.

حجاجية هذا الاستفهام تدل على التوبيخ الذي سيطال الكفار جراء اتخاذهم عباد الله أولياء من دونه.

5- قوله تعالى: ﴿**هَل نُنَبِّئُكُم بِالأَخسَرِينَ أَعمالًا**﴾[الكهف 103] الاستفهام في هذه الآية جاء للتشويق والتقرير ليعلم كل من يتلقى هذا الخطاب أنه معني به فحجاجيته تكمن في إجابته الخالدة.

فالاستفهام يقوي العملية الخطابية الحجاجية، خصوصا في الخطاب القرآني، إذ يعد من أقوى عوامل الحجاج فيه، والاستفهام الإلهي لا ينتظر إجابة بل يتوجه بأصبع الاتهام إلى تلك الإجابة والمسلّمات الخاطئة الجاثمة في عقول الناس وقلوبهم، فهو دعوة لمراجعة النفس وتقبل الإجابة الصحيحة التي يستلزمها ضمنيا، أو هو قوة توجيهية لاستخلاص الحقيقة.

فهو إمّا أن يكون في المستهل للتشويق، وما يأتي بعده إجابة عنه وتقرير لمطلوبه لتنسجم بينهما الدّلاّلات في إطار علاقة المجمل والمفصل، أو أن يكون في الأخير كتنبيه للمحصّلة التي تُستقى من الآيات المقدمة، في علاقة واضحة بين المقدمة والنتيجة وهي علاقة محورية في علاقات الانسجام.

خـــاتمـــة

خاتمـــــة:

وبعد أن بلغ هذا البحث نهايته، نصل إلى عرض ما أسفرت عليه دراستنا من نتائج وأفكار تكون خلاصة نُتوج بها هذا البحث الذي كان انطلاقة لدراسة لا تنتهي إلى ما انتهينا إليه، لعلنا نفتح بابا لأولي العلم أن يبدأوا من حيث انتهينا.

لقد حاولنا من خلال هذا البحث أن نسلط الضوء على "وظيفة الحجاج في انسجام الخطاب القرآنيّ"، فكانت النتائج التي لا ندعي أننا أول من وصل إليها كالأتي:

1. بين النّص والخطاب مواطن اختلاف وائتلاف وما وسع الهُوة بينهما هو تباين المرجعيات الذهنية لدارسيه.
2. مصطلح الحجاج مفهوم عائم، فهو إمّا مرادف للجدل أو البرهان أو الإقناع...، مع العلم أنّ هذه المصطلحات كلّها تجري في مجرى واحد وهو تحقيق الإقناع و الإذعان لدى المُحَاجَج.
3. الخطاب القرآني خطاب حجاجي بامتياز، وكونه كذلك فهو يفضي إلى تحقيق الإقناع واستمالة المُخاطَب عبر مجموعة من الوسائل و الآليات كالأسلوب القصصي الذي جاءت به سورة الكهف وأسلوب الترغيب والترهيب والأمر والنهي الوعد والوعيد وغيرها من الأساليب الموجودة في القرآن الكريم.
4. الخطاب القرآني في مفهومه متميز عن سائر الخطابات، التي هي من نتاج البشر المتميزة بالخصوصية الموضوعية (معالجة موضوع واحد) والمحدودية الزمنية فهو لا يتعدى لحظة إلقائه، عكس الخطاب القرآني الذي يتعدى حدود الزمن فهو صالح لكل زمان وعصر.
5. يعد الخطاب القرآني عنصرا مهما في عملية الإقناع، وفي إدراك الحقّ وقبوله.
6. الحجاج آلية لتحقيق الإقناع، وتفعيل الانسجام في العملية الكلامية.

7. الاستعارة الحجاجية تُشَخص المعنوي وتُعطيه قوّة حجاجية، حيث تُمكنه من التأثير في المُخَاطَب وتجعله يغير سلوكه أو التراجع عن موقف كان قد اتخذه من قبل.
8. للسؤال والجواب جوانب حجاجية تعمل على تحقيق الانسجام، من خلال آلية الحوار.
9. للطباق دور كبير في عملية الإقناع والتأثير، فحجاجيته تكمن في أنّه يزيد المعنى قوّة وجلاء فالأشياء بضدها تتضح.
10. للجانب اللّغوي دور كبير في تحقيق الإقناع، فمن يحسن السّبك اللّغوي يملك القدرة على التأثير والتغيير في المواقف المضادة له سواء عن حقّ أو عن باطل
11. الصور البيانية ليست دائما وسائل للصنعة اللفظية، بل لها دور في تدعيم وترجيح الحجج، وهذا ما لاحظناه أثناء تحليلنا لسّورة الكهف.
12. القصة التاريخية في القرآن الكريم، لا تقبل الطعن في إثبات صدق ما قُصَّ فيها من أحداث تاريخية وقعت فيه.
13. الروابط الحجاجية تعمل على ترتيب الحجج وتعاضدها في المواقف الحجاجية.
14. خلُصنا كذلك إلى أن الحجاج قادر على أن يخرج عن طبيعته النمطية ويساهم في تحقيق الانسجام، كما اكتشفنا كذلك أن الانسجام يمكن أن يتحقق بآليات غير الآليات التي وضعت لتحقيقه.

وفي النهاية لا يسعنا إلا أن نسأل المولى عزوجل بعزته وقدرته أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، رغم ما فيه من نقص، وأن يجعل جهودنا هذه مفتاحا لدراسات أخرى تمس القرآن الكريم وأن ينتفع به قارئه وربّ حامل العلم إلى من هو أعلم منه، رغم تقصيرنا وعيوبنا.

ملـــــخص

ملخص البحث

يعدّ الحجاج نظرية غربيّة حديثة دُرست من جانبين، جانب تداولي وقد ظهر ذلك من خلال أعمال " **ديكرو**"، وجانب بلاغي مع " **بيرلمان**" ، فرغم اختلاف توجههما إلاّ أنّهما أسسا لنظرية حجاجيّة ، علمًا أنَ البحث الحجاجي له جذور قديمة تمتد إلى اليونان وبالتحديد إلى " **أرسطو**" الذي أرسى معالمه.

ولمّا كان الإقناع هو الغاية التي يسعى إلى تحقيقها ، فأردنا من خلال هذا البحث الموسوم بـ " **وظيفة الحجاج في انسجام الخطاب القرآني، سورة الكهف أنموذجا** " أن نكشف أنّ له دور آخر ألا وهو " **الانســجام** " و ذلك من خلال جانبين نظـري و تطبيقي .

و قد أقمنا هذا البحث على مقدّمة، و مدخل تحدثنا فيه عن النّص و الخطاب من حيث التوافق و الاختلاف.

أمّا الفصل الأول فكان عنوانه " الحجاج و الانسجام – المجال و المفهوم "، إذ تناولنا فيه مفهومي الحجاج و الانسجام، وآليات كلّ واحد منهما.

و الفصل الثاني فيحمل عنوان " من قوة الحجاج إلى جمالية الانسجام "، وفيه درسنا تحقق الانسجام من خلال :

حجاجيّة السؤال و الجواب .
حجاجيّة القصص القرآنيّ .
حجاجيّة التعبير الفنيّ .
حجاجيّة اللّغة.

لتنتهي رحلتنا مع هذا البحث بخاتمة وضحنا فيها أهمّ النتائج.

Résume de la recherche

L àrgumentation est une nouvelle théorie occidentale qui à été étudiée en deux cotés :

- Coté pragmatique qui est apparu avec les travaux de « **Ducrot** »
- Coté rhétorique qui est apparu avec les travaux de « **Perlman** »

Malgré la différence dans leurs orientations ils ont crée cette théorie argumentative ; sachant que la recherche argumentative revient à des origines anciennes et particulièrement « grecques » avec son leader « **Aristo** » qui a donné les principales règles et bases de « la leçon argumentative »

Quand la persuasion était la finalité qu'on cherche , une nouvelle recherche apparut sous le non de « La fonction de l argumentation dans la cohérence du discours coranique Surat El kahf come exemple » ; cette recherche nous révèle qui elle a un autre rôle qui est « la cohérence » dans ses deux cotes théorique et pratique

Dans cette recherche nous avons commencé par une introduction suivie par un développement dans lequel nous avons abordé « le texte » et « le discours » en ce qui concerne la ressemblance et la différence .

Le premier chapitre intitulé « L àrgumentation et la cohérence le domaine et la signification » et qui parle du sens de l àrgumentation et la cohérence .

Le deuxième chapitre intitulé « De la force de l àrgumentation à l ésthétique de la cohérence » dont ou a étudie la réalisation de la cohérence à travers :

- L àrgumentation par questionnaire (Question/ Réponse).
- L àrgumentation dans l histoire coranique .
- L àrgumentation par l éxpressionartistique .
- L àrgumentation langagière (par la langue) .

Pour conclure ce travail nous avons achevé par une conclusion qui présente les résultats (les principales finalités).

ملاحـــق

ملحق لأهم المصطلحات الواردة في البحث

المصطلح بالعربية	المقابل له بالفرنسية
الحجّة	Argument
الحجاجي	Argumentatif
الحجاج	Argumentation
تتابع	Chaine
الانسجام	Cohérence
الانسجام الحجاجي	Cohérence Argumentatif
الاتساق	Cohésion
التضام	Collocation
الرابط	Connecteur
الترابط	Connectivite
الروابط الحجاجية	Conteurs Argumentatif
السياق	Contexte
سياق مقامي	Contexte Situationnel
سياق مقالي	Contexte Verbal
الإقتناع	Conviction
البرهان	Démonstration
الخطاب	Discours
تحليل الخطاب	Discours Analysais
الخطاب الحجاجي	Discours Argumentatif
نحو النّص	Grammaire Texte

Informativité	الإعلامية
Intentionnalité	القصدية
Interction	التفاعل
Intertextualité	التناص
Isotopie	التشاكل
Métrisation	التغريض
Opérateurs Argumentatif	العوامل الحجاجية
Persuader	الإقناع
Pragmatique	التداولية
Raisonnement	الاستدلال
Réfutation	إبطال
Rhétorique	البلاغة
Texte	النّص
Texte Analysais	تحليل النّص

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.**

المصادر والمراجع:

1. **إبراهيم رماني:** الغموض في الشعر العربي الحديث، دار هومة للنشر، الجزائر (د ط)، (د ت).
2. **ابن الأصبع المصري** : تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر وبيان إعجاز القرآن القاهرة ، مصر ، (د ط) ، 1963م.
3. **ابن عيسى باطاهر:** أساليب الإقناع في القرآن الكريم ، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، 2000م.
4. **أبو زيد نصر حامد:** مفهوم النص(دراية في علوم القرآن)، الهيئة المصرية العامة القاهرة مصر، الطبعة الأولى، 1990م.
5. **أحمد مختار عمر:** علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة، 1998م.
6. **إدريس حمادي:** المنهج الأصولي في فقه الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء الطبعة الأولى، 1998م.
7. **الأزهر الزناد:** دروس في البلاغة العربية نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1992م.
8. **الآمدي:** الإحكام في أصول الأحكام، تح: سيد الجميلي، الدار الكتاب العربي، بيروت لبنان، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1986م.
9. **أندريه لالاند:** موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت ، لبنان، المجلد الأول،2001م.
10. **برهان الدين البقاعي:** نظم الدرر في تناسب الآية و السور، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية ، بيروت،لبنان، الجزء الأول، 1995م.
11. **جمال مباركي:**التناص وجماليته في الشعر الجزائري المعاصر،إصدار رابطة إبداع الثقافة، بوحيدر، الجزائر، (د ط)، (د ت).

12. **الجويني:** الكفاية في الجدل، تح: فوقية حسين محمد، مطبعة عيسى الباني الحلبي القاهرة مصر، (د ط)، 1979م.
13. **الحارثي عبد الوهاب:** دلالة السياق (منهج مأمون في تفسير القرآن)، دار المكتبات عمان،الأردن، الطبعة الأولى، 1988م.
14. **حازم القرطاجني:** منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تونس، ط1966،1 م.
15. **خلود العموش** : الخطاب القرآني ، دراسة في العلاقة بين النَص و السَياق ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، الطبعة الأولى ، 2008م.
16. **خليل بن ياسر البطاشي:** الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير، الأردن، الطبعة الأولى، 2013م.
17. **الرازي** : مفاتيح الغيب، دار الغد العربي، القاهرة، مصر، الجزء، الأول، الطبعة الأولى 1991م.
18. **زاهر عوض الألمعي:** مناهج القرآن (دراسة لغوية أسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ، 1993م.
19. **الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله** : البرهان، تحقيق: أبي الفضل الدمباطي دار الحديث،القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2006م.
20. **سعيد حسين بحيري:** علم لغة النص(المفاهيم و الاتجاهات)، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1413هـ.
21. **سعيد حوى:** الأساس في التفسير، دار السلام، القاهرة، مصر، مجلد1، الطبعة الخامسة، 1999م.
22. **السيوطي:** الإتقان في علوم القرآن: تحقيق: عبد المنعم إبراهيم، مكتبة ابن باز، مكة الجزء الأول 2005م.
23. **السيوطي:** الإتقان في علوم القرآن: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت لبنان، الجزء الثاني، الطبعة الأولى، 2003م.
24. **السيوطي:** لباب النقول في أسباب النزول، دار أحياء العلوم، بيروت، لبنان، الطبعة السادسة 1988م.

25. **السيوطي:** معترك الأقران في إعجاز القرآن،تحقيق:علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1973م.
26. **صبحي إبراهيم الفقي:** علم اللغة النصي، دار قباء للطباعة و النشر، الجزء الأول الطبعة الأولى، 2000م.
27. **الصفدي أبي الصفاء:** الروض الباسم و العرف الناسم ، تح: محمد عبد المجيد لاشين، دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، 2005م.
28. **طه عبد الرحمان:**اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى، 1998م.
29. **عبد السلام عشير:** عندما نتواصل نغير، مقاربة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، (د ط)،2007م.
30. **عبد القاهر الجرجاني:** دلائل الإعجاز، قرأه وعلق على حواشيه: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، الطبعة الخامسة، 2004م.
31. **عبد القاهر الجرجاني:** كتاب التعريفات، دار الإيمان، الإسكندرية، مصر، (د ط) 2004م.
32. **عبد الله صولة:** الحجاج في القرآن الكريم، من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفرابي بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 2008م.
33. **عبد المالك مرتاض:** نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي في مركب لسورة الرحمان، دار هومة، الجزائر،2001م.
34. **عبد الهادي بن ظافر الشهري:** استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغاوي ، ليبيا، الطبعة الأولى، 2004م.
35. **علي محمد حسين:** القصة القرآنية الخصائص والأهداف، مطبعة الحسين الإسلامية القاهرة، مصر، الطبعة الأولى ، 1995م.
36. **فاضل صالح السامرائي:** التعبير القرآني، دار عمار ، الطبعة الرابعة، 2006م.
37. **فاطمة الشيدي:** المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، دار نينوى للطباعة و النشر، دمشق، سورية، (د ط)،2011م.

38. **فتحي رزق الله الخوالدة:** تحليل الخطاب الشعري،(ثنائية الاتساق والانسجام)، أزمنة للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2006م.
39. **فهد عبد الرحمان بن سليمان الرومي:** دراسات في علوم القرآن الكريم، مركز تفسير الدراسات القرآنية، الرياض، الطبعة الرابعة عشر، 2005م.
40. **المثنى عبد الفتاح محمود:** نظرية السياق القرآني، دراسة تأصيلية دلالية نقدية، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، 2008م.
41. **محمد أبو زهرة:** تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، (د ط)،(د ت).
42. **محمد التومي:** الجدل في القرآن الكريم فعالية في بناء العقلية الإسلامية، شركة الشهاب الجزائر، (د ط)،(د ت).
43. **محمد الطاهر بن عاشور:** تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية، تونس الجزء الخامس عشر ، الطبعة الأولى ، 1948م.
44. **محمد العبد:** النص و الخطاب و الاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي مصر، الطبعة الأولى ، 2005م.
45. **محمد بن صالح العثمين:** تفسير سورة الكهف، دار بن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ، 1423هـ.
46. **محمد خطابي:** لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الثانية، 2006م.
47. **محمد شمال حسن:** الصورة و الإقناع دراسة تحليلية ، لأثر خطاب الصورة في الإقناع دار الأفاق العربية، الطبعة الأولى، 2006م.
48. **محمد طروس:** النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية واللسانية ، دار الناشر للثقافة، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء، الطبعة الأولى 2005م.
49. **محمد عابد الجابري:** الخطاب العربي المعاصر دراسة تحليلية نقدية، دار الطليعة بيروت لبنان، الطبعة الأولى ، 1997م.
50. **محمد علي التهانوي:** كشَاف الاصطلاحات والفنون والعلوم، تحقيق: رفيق العجم وعلي دحروج، الجزء الأول، (د ط)،(د ت).

51. **محمد مفتاح** : دينامية النص تنظير و انجاز، المركز الثقافي العربي بيروت، لبنان الطبعة الثانية، 1990م.

52. **مصطفى النحاس:** نحو النص في ضوء التحليل اللساني للخطاب، مكتبة ذات السلاسل، الكويت، الطبعة الأولى، 2001م.

53. **مصطفى مسلم:** مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة 2007م.

54. **منذر عياشي:** الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، الطبعة الأولى 2002م.

55. **نذير حمدان:** الظاهرة الجمالية في القرآن الكريم، دار المنايرة، جدة، السعودية الطبعة الأولى، 1991م.

56. **يوسف نور عوض:** علم النص ونظرية الترجمة، دار الثقة للنشر والتوزيع مكة المكرمة الطبعة الأولى، 1410هـ.

الكتب المترجمة:

1.**أزوالدديكرو و جان ماري سشايفر:** القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللَسان ترجمة : منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 2007م.

2.**آن روبول و جاك موشلار** : التداولية اليوم علم جديد في التواصل ترجمة : سيف الديـن دغفوس و محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، لبنان الطبعة الأولى 2003م.

3.**باتريك شارودو:** الحجاج بين النظرية و الأسلوب،عن نحو المعنى و المبنى ترجمة، أحمد الود،دار الكتاب الجديد ، الطبعة الأولى، 2009م.

4.**براون و يول:** تحليل الخطاب ، ترجمة : محمد لطفي الزليطي و منير التركي جامعة الملك سعود ، دار النشر العلمي ، الرياض ، السعودية ، (د ط) 1997م.

5.**برند شبلنر:**علم اللغة و الدراسات الأدبية ، ترجمة : محمد جاد الرب الدار الفنية للنشر و التوزيع ، القاهرة ، مصر، الطبعة الأولى، 1987م.

6.**ثون فان دايك:** النَص و السَياق ، ترجمة، عبد القادر قنيني، دار إفريقيا الشرق بيروت، لبنان، 2000م.

7.**ثون فان دايك:** علم النَص مدخل متداخل الاختصاصات ، ترجمة : سعيد حسن البحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى 2001م.

8.**جوليا كريستيفا:** علم النَص، ترجمة: فريد الزاهي، مراجعة: عبد الجليل ناظم دار توبقال للنشر، المغرب، الطبعة الثانية، 1997م.

9.**روبرت دي بوجراند:** النَص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمَام حسَان عالم الكتب القاهرة، مصر، الطبعة الثانية ، 2007م.

10. **رولان بارث:** لدة النَص، ترجمة: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري حلب،سوريا، الطبعة الأولى 1992م.

11. **سارة ميلز:** الخطاب، ترجمة: يوسف يغول، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر ، (د ط)، 2004م.

12. **فاولر روجر** : اللَسانيات والرواية، ترجمة : لحسن احمامة، الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى، 1997م.

13. **فولفجانج هاينه مان وديتر فيهفيجر:** مدخل إلى علم اللغة النصي ترجمة: فالح بن شبيب العجمي جامعة الملك سعود، دار النشر العلمي، الرياض السعودية، (د ط) 1999م.

المقالات:

1.**أبو بكر العزاوي:** الحجاج والمعنى الحجاجي (مقال)، ضمن كتاب التحاجج طبيعته و مجالاته و وظائفه، تنسيق: حمَو النَقَاري، سور الأزبكية منشورات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، الطبعة الأولى 2006م.

2.**رشيد الراضي** : الحجاجيات اللَسانية، (مقال) ضمن كتاب : الحجاج مفهومه ومجالاته، تقديم: حافظ اسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، الأردن الجزء الثاني، الطبعة الأولى، 2010م.

المجلات:

1.**أحمد أبوزيد:** الاستعارة عند المتكلمين، مجلة المناظرة، العدد الرابع السنة الثانية 1999م.

2.**بشير ابرير:** لسانيات الجملة إلى علم النَص، مجلة التواصل جامعة عنابة الجزائر العدد الرابع عشر، 2005م.

3.**بوقربة الشيخ:** المفاهيم الشعرية في النقد العربي الحديث، مجلة علامات في النقد، الجزء الأربعون،المجلد العاشر، النادي الثقافي، جدة، السعودية جوان 2001م.

4.**حبيب أعراب:** الحجاج والاستدلال الحجاجي، "عناصر استقصاء نظري" مجلة عالم الفكر الكويت، العدد الأول، 30 ديسمبر، 2001م.

5.**طيب الغزالي قواوة:** الانسجام النَصي وأدواته، مجلة الخبر،العدد الثامن، 2012م.

6.**عز الدين الناجح:** المفهوم من خلال الملفوظ الإشهاري، مجلة الخطاب، دار الأمل، الجزائر،العدد الأول، 2007م.

7.**فاتح زيوان:** مصطلحا الخطاب والنَص، الدلالة في الثقافة العربية مجلة كتابات معاصرة، بيروت، لبنان، العدد السابع، 2008م.

8.**محمد الصغير بناني:** مفهوم النَص عند المنظرين، القدماء مجلة اللَغة و الأدب جامعة الجزائر، العدد الثاني عشر، ديسمبر 1997م.

9.**محمد سالم ولد محمد الأمين الطلبة:** مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، مجلة الفكر، الكويت، العدد03، مارس2008م.

الرسائل الجامعية:

1. **رياض مسيس:** النَص الأدبي من منظور لسانيات النَص طوق الحمامة في الالف و الإلاف، رسالة ماجستير، جامعة عنابة 2003م/2004م.

2. **فهد الشتوي:** دلالة السَياق و أثرها في توجيه التشابه اللفظي في قصة موسى – عليه السلام– رسالة ماجستير، كلية الدعوى و أصول الدين ، قسم الكتاب و السنة جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ،2005م.

3. **مفتاح بن عروس:** في علاقة النَص بالمقام(سورة الكهف نموذجا) مجلة اللَغة والأدب، جامعة الجزائر، ملتقى علم النَص، العدد الرابع عشر، ديسمبر، 1999م.

فهرس الموضوعات

فهـــرس الموضوعات

*مقدمة.....أ- هـ

المدخل: الخطاب والنص (إشكالية المصطلح)

*تمهيد.....8

1-مفهوم النّص.....8

أ-لغة.....8

ب-اصطلاحا.....8

2-مفهوم الخطاب.....9

أ-لغة.....9

ب-اصطلاحا.....10

3-بين الخطاب والنّص.....11

أ- التعريف الموحّد.....12

ب-التحرير والمشافهة.....13

4-النّص والخطاب في الدراسات القرآنية.....15

أ-النّص.....15

ب-الخطاب.....15

5-الخطاب أم النّص؟.....16

الفصل الأول: الحجاج والانسجام –المجال والمفهوم–

–المبحث الأول: الحجاج.....19

*تمهيد.....19

1–مفهوم الحجاج.....19

أ–لغة.....19

ب–اصطلاحا.....20

2–علاقة الحجاج بمجاله المفهومي.....22

أ–الحجاج والجدل.....22

ب–الحجاج والإقناع.....23

جـ–الحجاج والبرهان.....25

3– تقنيات الحجاج.....27

***الآليات البلاغية.....28**

أ–الاستعارة.....28

ب–الكناية.....28

ج–الطّباق.....28

***الآليات شبه المنطقية.....29**

أ–الروابط الحجاجية.....29

ب–العوامل الحجاجية.....30

–المبحث الثاني: الانسجام.....32

*تمهيد.....32

1-مفهوم الانسجام.....32

أ-لغة.....32

ب-اصطلاحا.....33

2-آليات الانسجام.....34

1-السياق.....34

1-1 مفهوم السياق.....34

1-2 السياق في القرآن الكريم.....36

1-2-1 السياق الداخلي(المقامي).....36

1-2-1-1 سياق الآية.....37

1-2-1-2 سياق المقطع.....37

1-2-1-3 سياق السورة.....37

1-2-1-4 سياق القرآن الكريم.....38

1-3 السياق الخارجي (المقامي).....38

1-4 خصائص السياق.....**39**

1-4-1 ضبط المفهوم لدى المتلقي.....39

1-4-2 التضام والالتحام.....40

1-4-3 احتمالية التنوع الدلالي.....40

2- المناسبة.....**40**

2-1 مفهوم المناسبة.....40

2-2- فائدة علم المناسبة في تماسك النصوص 44

3- **التغريض**.....**44**

3-1 مفهومه.....44

4- **الخطاب**.....**46**

4-1 مفهومه.....46

4-2 ترتيب الخطاب.....47

4-3 المتلقي وانسجام الخطاب.....48

4-4 خصائص الخطاب.....49

الفصل الثاني(التطبيقي): من قوة الحجاج إلى جمالية الانسجام

*تمهيد:.....52

1- التعريف بسّورة الكهف.....52

2- انسجام سّورة الكهف من خلال الحجاج.....55

أولا: حجاجية السؤال والجواب في السّورة.....56

ثانيا: حجاجية القصص في الّسورة.....60

ثالثا: حجاجية التعبير الفني في السّورة.....64

1- حجاجية التصوير الفني في السّورة.....64

1-1الاستعارة.....64

1-2 حجاجية الاستعارة والانسجام.....66

1-3 الكناية.....67

1-4 حجاجية الكناية والانسجام.....69

2-البديع.....**69**

2-1الطّباق.....70

2-2 حجاجية الطّباق والانسجام.....71

رابعا: حجاجيّة اللغة في السّورة.....**72**

1-الروابط الحجاجيّة.....72

أ-الواو.....72

ب-الفاء.....74

ج-حتى.....75

2-العوامل.....**77**

2-1القصر بـ(ما..إلاّ).....77

2 -2 القصر بـ(لا....إلاّ).....78

2-3الاستفهام.....79

*الخاتمة.....82

*الملخص بالعربية.....85

*الملخص بالفرنسية.....86

*الملحق.....89

*قائمة المصادر والمراجع.....92

*فهرس المحتويات.....101